البَابُ ٱلثَّالِثُ

الفصل الأول : فضائل الحجاب

الفصل الثاني : مثالب التبرج .

فضائل الحجاب

أولاً : الحجاب طاعة لله عز وجل وطاعة لرسول الله ﷺ

أوجب الله تعالى طاعته وطاعة رسوله ﷺ فقال :
﴿ وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضى اللهُ ورسوله أمراً أن يكونَ لهم الخِيَرَةُ من أمرِهم ومن يعصِ الله ورسولهُ فقد ضَلَّ ضلالاً مبيناً ﴾ .[1]

وقال عز وجل : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حَرَجاً مما قضيتَ وَيُسَلِّموا تسليماً ﴾[2]

وقد أمر الله سبحانه وتعالى النساء بالحجاب ، فقال عز وجل :
﴿ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ﴾[3] .

وقال سبحانه : ﴿ وقرنِ فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ﴾ ، وقال تبارك وتعالى : ﴿ وإذا سألتموهن متاعاً فسألوهن من وراء حجاب ذَلِكُمْ أطهر لقلوبكم وقلوبهن ﴾[5] ، وقال تعالى : ﴿ يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ﴾[6] .

وقال رسول الله ﷺ : (المرأة عورة)[7] يعنى أنه يجب سترها .

---

(١) (الأحزاب : ٣٦) .
(٢) (النساء : ٦٥) .
(٣) (النور : ٣١) .
(٤) (الأحزاب : ٣٣) .
(٥) (الأحزاب : ٥٣) .
(٦) (الأحزاب : ٥٩) .
(٧) تقدم تخريجه .

وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه : أنه سأل النبى ﷺ عن أختٍ له نذرت أن تحج حافية غير مختمرة ، فقال : (مروها فلتختمر ، ولتركب ، ولتصم ثلاثة أيام)[1] .

قال الخطابى رحمه الله : (أما أمره إياها بالاختمار ، فلأن النذر لم ينعقد فيه ، لأن ذلك معصية ، والنّساء مأمورات بالاختمار والاستتار)[2] اهـ .

ثانيـاً : الحجـــاب إيمـــان

والله سبحانه وتعالى لم يخاطب بالحجاب إلا المؤمنات ، فقد قال سبحانه : ﴿ وقل للمؤمنات ﴾ وقال عز وجل : ﴿ ونساء المؤمنين ﴾ .

ودخل نسوة من بنى تميم على أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، عليهن ثياب رقاق ، فقالت : (إن كنتن مؤمنات ، فليس هذا بلباس المؤمنات ، وإن كنتن غير مؤمناتٍ ، فتمتعن به)[3] ، وأُدخِلت امرأة عروس عليها رضى الله عنها ، وعليها خِمار قبطى معصفر ، فقالت أم المؤمنين رضى الله عنها : « لم تؤمن بسورة النور امرأة تلبس هذا »[4] .

ثالثــاً : الحجــاب طهــارة

بَيَّنَ الله سبحانه الحكمة من تشريع الحجاب ، وأجملها فى قوله تعالى : ﴿ وإذا سألتموهن متاعاً فسئلوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن ﴾[5] ، فنص سبحانه على أن الحجاب طهارة لقلوب المؤمنين

(١) رواه الإمام أحمد فى « المسند » (٤/١٤٥) ، سنن أبى داود (٣/٢٣٣) رقم (٣٢٩٣) ، سنن ابن ماجه (١/٦٥٤) ، سنن الترمذى (٤/١١٦) وحسَّنه ، سنن النسائى (٧/ ٢٠) ، وضعفه الألبانى فى « إرواء الغليل » (٨/٢١٨) رقم (٢٥٩٢) .

(٢) « معالم السنن » (٤/٣٧٦) .

(٣) ، (٤) « تفسير القرطبى » (١٤ /٢٤٤) .

(٥) (الاحزاب : ٥٣) .

والمؤمنات ، وبيان ذلك أنه إذا لم تر العين لم يشته القلب ، أما إذا رأت العين فقد يشتهى القلب ، وقد لا يشتهى ، فالقلب عند عدم الرؤية أطهر ، وعدم الفتنة حينئذ أظهر ، لأن الرؤية سبب التعلق والفتنة ، فكان الحجاب أطهر للقلب ، وأنفى للريبة ، وأبعد للتهمة ، وأقوى فى الحماية والعصمة .

رابعاً : الحِجابُ عِفَّةٌ

رغَّب الإسلام فى التعفف[١] ، وعظَّم شأنه ، وكان ﷺ يأمر به ، وَيَحُثُّ عليه ، ففى الحديث أن هرقل سأل أبا سفيان : ماذا يأمركم ؟ - يعنى رسول الله ﷺ - فقال : قلت : يقول : (اعبدوا الله وحده ، ولاتشركوا به شيئاً ، واتركوا ما يقول آباؤكم ، ويأمرنا بالصلاة ، والصدق ، والعفاف ، والصلة)[٢].

وكان من دعائه ﷺ : (أسألك الهدى والتقى والعفة)[٣] ، وفى لفظ آخر : (إنى أسألك الهدى والتقى والعفاف)[٤] الحديث .

والعفة صفة من صفات الحور العين التى أشار إليها قوله تعالى : ﴿ حور مقصورات فى الخيام ﴾[٥] وقوله عز وجل : ﴿ وعندهم قاصرات الطرف أتراب ﴾[٦] ، وقوله جل وعلا : ﴿ وعندهم قاصرات الطرف عِين ﴾[٧].

---

(١) العفة حصول حالة للنفس تمتنع بها عن غلبة الشهوة ، والمتعفف : المتعاطى لذلك بضرب من الممارسة والقهر ، انظر : « المفردات » للراغب (ص ٥٠٧) .

(٢) جزء من حديث طويل رواه البخارى (١/٧) فى كتاب بدء الوحى وغيره ، ومسلم فى كتاب الجهاد ، والإمام أحمد (١/٢٦٢ - ٢٦٣) .

(٣) رواه الإمام أحمد (١/٣٨٩ ، ٤٣٤ ، ٤٤٣) .

(٤) رواه مسلم فى كتاب الذكر ، والترمذى فى الدعوات ، وابن ماجه فى الدعاء ، والإمام أحمد (١/٤١١ ، ٤١٦ ، ٤٣٧) .

(٥) (الرحمن : ٧٢) .

(٦) (الرحمن : ٥٢) .

(٧) (الصافات : ٤٨) .

فقوله جل وعلا (قاصرات الطرف) يعنى أنهن عفيفات لا ينظرن إلى غير أزواجهن ، (عِين) أى حسان الأعين جميلات المظهر عفيفات تقيات نقيات .

فقد جعل سبحانه عفتهن قرينة حجابهن وقرارهن فى خيامهن ، وامتدحهن بالعفة مع الجمال ، فأعظم ما تكون العفة إذا ما اقترنت بالجمال ، وقد وصف بهما يوسف عليه السلام فى قول امرأة العزيز : ﴿ فذٰلكن الذى لمتننى فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ﴾[1] .

ومن إعظام الإسلام لأمر العفاف أن شرط فى إباحة الزواج من الكتابيات كونهن محصنات أى عفائف ، كما أن العفة فى القرآن خلق المؤمنات وسجية المحجبات ، وقد جعل الله عز وجل الحجاب عنوان عفة المرأة عن التهمة الموجبة للتأذى :

فقال الله عز وجل : ﴿ ياأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ﴾ الإدناء ﴿ أدنى أن يعرفن ﴾ بأنهن عفائف ﴿ فلا يؤذين ﴾ فلا يتعرض لهن الفساق بأذى من قول أو فعل ، وذلك لأن التى تبالغ فى التستر حتى تحجب وجهها لا يُطمع فيها أنها تكشف عورتها .

والآية دليل على وجود أذية إن لم يحتجبن ، وذلك لأنهن إذا لم يحتجبن ربما ظُنَّ أنهن غير عفيفات ، وقوله تعالى ﴿ فلا يؤذين ﴾[2] نص على أن فى معرفة محاسن المرأة إيذاءً لها ولذويها بالفتنة والشر .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة ﴾ رخص لهن فى وضع الجلابيب ، ورفَع الإثم عنهن فى ذلك ، ثم عقبه ببيان المستحب فقال عز وجل : ﴿ وأن يستعففن ﴾ باستبقاء الجلابيب ﴿ خير لهن والله سميع عليم ﴾[3] فحرض القواعد العجائز على الاستعفاف ، وأوضح أنه خير لهن وإن

(١) (يوسف : ٣٢) .
(٢) (الأحزاب : ٥٩) .
(٣) (النور : ٦٠) .

لم يتبرجن ، فظهر بذلك فضل التحجب والتستر بالثياب ولو من العجائز[1] ، فوجب أن يكون التحجب الكامل والاستعفاف عن إظهار الزينة خيراً للشابات من باب أولى ، وأبعد لهن عن أسباب الفتنة ، فظهر بذلك أن الحجاب عفة ونقاء وصيانة .

خامساً : الحِجابُ سِتْرٌ

عن يعلى بن شداد بن أوس رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ : (إن الله تعالى حَيِيٌّ ستير ، يحب الحياء والستر)[2] الحديث ، وقد امتن الله سبحانه وتعالى على الأبوين بنعمة الستر فقال عز وجل : ﴿ إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى ﴾[3] ،وقال سبحانه ممتناً على عباده : ﴿ يابنى ءَادم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوءاتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير ﴾[4] الآية .

قال عبد الرحمن بن أسلم : « يتقى الله فيوارى عورته ، فذاك لباس التقوى[5] » ، ولذلك تجد وظيفة اللباس عند من لا يتقون الله ولا يستحيون منه كعامة الغربيين مثلاً لا يتجاوز غرض الزينة والرياش ، وأما المؤمنون المتقون فإنهم يحرصون على اللباس أولاً لستر العورات التى يستحيا من إظهارها ، ثم بعد ذلك لهم سعة فى إباحة الزينة والتجمل .

إن الذنوب معايب يُبتعَدُ عنها ، ويسْتتر منها ، والعورات كذلك معايب

(١) وذلك لأن النفس الأبية لا ترضى بالدون ، وقد عاب الله عز وجل قوماً استبدلوا طعاماً بطعام أدنى منه ، فنعى ذلك عليهم فقال عز من قائل : ﴿ أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ﴾ الآية (البقرة : ٦١) ، لأن ذلك دليل على وضاعة النفس وقلة قيمتها .

(٢) رواه أبو داود رقم (٤٠١٢) و(٤٠١٣) فى الحمام : باب النهى عن التعرى ، والنسائى (٢٠٠/١) فى الغسل : باب الاستتار عند الاغتسال ، ورواه الإمام أحمد فى « المسند » (٢٢٤/٤) .

(٣) (طه : ١١٨) .

(٤) (الأعراف : ٢٦) .

(٥) قال فى « الدر المنثور » : (أخرجه ابن أبى حاتم) (٧٦/٣) .

يجب أن تستر ، ويبتعد عما يحرم منها ، وكأن المكثرين من الخطايا هم الذين لا يبالون بما يبدو من عوراتهم ، ومن هنا ترى المؤمنين المبتعدين عن الذنوب بعيدين عن إظهار العورات .

وجـــوب ستر العورات

قال تعالى : ﴿ يابنى ءادم خذوا زينتكم عند كل مسجد ﴾[1] الآية .

وقال جل وعلا : ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها ﴾[2] ، ويدخل فى حفظ الفروج حفظها عن التكشف ، وعن أن يُنظَر إليها .

وعن جابر بن صخر رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ :
(إنا نُهينا أن تُرى عوراتنا)[3] .

حب الستر من أخلاق الأنبياء عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ :
(إن موسى كان رجلًا حَيِيًّا سِتِّيراً ، لا يُرى من جلده شىء ، استحياءً منه)[4] الحديث .

وكان من دعاء رسول الله ﷺ : (اللهم استر عوراتى ، وآمن روعاتى)[5] الحديث ، وفى لفظ : (اللهم استر عورتى) .

---

(١) (الأعراف : ٣١) .

(٢) (النور : ٣٠ - ٣١) .

(٣) رواه الحاكم (٢٢٢/٣ - ٢٢٣) ، وابن أبى حاتم فى « العلل » (٢٧٦/٢) .

(٤) رواه البخارى (٣٣٠/١) فى الغسل : باب من اغتسل عريانًا وحده ، وفى الأنبياء : باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام ،وفى تفسير سورة الأحزاب ، والترمذى (٣٢١٩) فى التفسير - سورة الأحزاب ، والإمام أحمد (٥١٥/٢) .

(٥) جزء من حديث رواه عن ابن عمر رضى الله عنهما أبو داود فى « الأدب » (٣١٨/٤ - ٣١٩) رقم (٥٠٧٤) ، وابن السنى فى « عمل اليوم والليلة » رقم (٤٠) ص (١٥) ، والحاكم فى « الدعاء » (٥١٧/١) ، وقال : صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبى ، وأخرجه ابن =

وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال : قلت : يارسول الله عوراتنا ما نأتى منها وما نذر ؟ ، فقال ﷺ : (احفظ عورتك ، إلا من زوجتك أو ماملكت يمينُك ، قلت : فإذا كان القوم بعضهم فى بعض ؟ قال : إن استطعت أن لا يرينها أحد فلا يَرَيَنَّها ، قلت : فإذا كان أحدناخالياً ؟ قال : فالله تبارك وتعالى أحق أن يُسْتحيا منه من الناس)[1] .

فيستحب ستر العورة حتى فى حال الخلوة - وقيل : يجب - تأدباً مع الله سبحانه وتعالى ، لقوله ﷺ : (فالله تبارك وتعالى أحق أن يستحيا منه من الناس) .

وعن سعيد بن يزيد رضى الله عنه قال : قلت للنبى ﷺ : أوصنى ، فقال : (أوصيك أن تستحيى من الله تعالى كما تستحيى من الرجل الصالح من قومك) .[2]

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه مرفوعاً :
(لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ، ولا المرأة إلى عورة المرأة)[3] الحديث .

بل ندبتنا الشريعة إلى الستر حتى عن أعين الجن الذين يَرَوْننا ولا نراهم ، فعن أنس رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ :

ماجه فى « الدعاء » (١٢٧٣/٢ - ١٢٧٤) رقم (٣٨٧١) ، وابن حبان فى « صحيحه » رقم (٢٣٥٦) موارد ، وصححه النووى فى « الأذكار » ص (٦٦) ، وحسَّنه الحافظ ابن حجر كما فى « الفتوحات الربانية » (١٠٨/١) .

(١) رواه أبو داود رقم (٤٠١٧) فى الحمام : باب ماجاء فى التعرى ، والترمذى رقم (٢٦٧٠) و(٢٧٩٥) فى الأدب : باب ماجاء فى حفظ العورة ، وابن ماجه ، وذكره البخارى تعليقاً بصيغة الجزم (٢٦٦/١) فى الغسل : باب من اغتسل عرياناً وحده فى خلوة فالتستر أفضل ، وقال الحافظ فى « الفتح » : (وإسناده إلى بهز صحيح) اهـ ، وحسنه الترمذى ، وصححه الحاكم .

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى « الزهد » ص (٤٦) ، والخرائطى فى « مكارم الأخلاق » ص (٥٠) ، وغيرهما .

(٣) رواه مسلم رقم (٣٣٨) فى الحيض : باب تحريم النظر إلى العورات ، وأبو داود رقم (٤٠١٨) فى الحمام : باب ما جاء فى التعرى ، والترمذى رقم (٢٧٩٤) فى الأدب : باب ما جاء فى كراهية مباشرة الرجل الرجل ، والمرأة المرأة .

(ستر ما بين أعين الجن وعورات بنى آدم إذا وضع أحدهم ثوبه أن يقول : بسم الله)[1] ، وعن على رضى الله عنه بلفظ : (إذا دخل أحدهم الخلاء)[2] .

وكل ما تقدم من الأدلة فى حق الرجال فهو ينتظم النساء أيضاً لقوله ﷺ : (النساء شقائق الرجال)[3].

وقد وردت أدلة خاصة تفيد أن المرأة كلها عورة بالنسبة للأجنبى ، فيجب ستر ما يصدق عليه اسم العورة :

منها ماروا‌ه عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (المرأة عورة)[4] الحديث .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ : « لا تباشر المرأةُ المرأةَ فتنعتها لزوجها ، كأنه ينظر إليها »[5]

الحديث يفيد أنه لمن يبق للرجال سبيل إلىٰ معرفة الأجنبيات من النساء - لشدة حرصهن على الستر - إلا من طريق الصفة أو الاغتفال ونحو ذلك ، ولهذا قال : « كأنه ينظر إليها » .

(١) أخرجه ابن السنى فى « عمل اليوم والليلة » ص (٨) رقم (٢٠) - وانظر : « إرواء الغليل » (٨٩/١) .

(٢) أخرجه الترمذى رقم (٦٠٦) (٥٠٣/٢ - ٥٠٤) فى الصلاة : باب ما ذكر من التسمية عند دخول الخلاء ، وقال الترمذى : (هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وإسناده ليس بذاك القوى) اهـ. ، وابن ماجه (١٢٧/١ - ١٢٨) .

(٣) رواه من حديث أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أبو داود رقم (٢٣٦) فى الطهارة : باب فى الرجل يجد البلة فى منامه ، والترمذى رقم (١١٣) فى الطهارة : باب ما جاء فيمن يستيقظ فيرى بللاً ، ولا يذكر احتلاماً .

(٤) تقدم تخريجه .

(٥) رواه الإمام أحمد (٣٨٧/١) ، والبخارى (٢٩٥/٩ ، ٢٩٦) فى النكاح : باب لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها ، وأبو داود رقم (٢١٥٠) فى النكاح : باب ما يؤمر به من غض البصر ، والترمذى رقم (٢٧٩٣) فى الأدب : باب ما جاء فى كراهية مباشرة الرجل الرجل والمرأة المرأة ، وقال : « هذا حديث حسن صحيح » .

وَعَدَّ رسول الله ﷺ النساء اللاتى لا يسترن زينتهن ضمن أهل النار :
فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ :

« صنفان من أهل النار لم أرهما : نساء كاسيات عاريات ، مائلات مميلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا »[1] .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ :
« سيكون فى آخر أمتى نساءٌ كاسيات عاريات ، على رؤوسهن كأسنمة البخت ، العنوهن فإنهن ملعونات »[2] .

نماذج من حرص الصحابة رضى الله عنهم على ستر النساء

رُوى أن امرأة خرجت متزينة فى عهد أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه ، أذن لها زوجها فى البروز ، فَأُخْبِرَ بها عمر رضى الله عنه ، فطلبها ، فلم يقدر عليها ، فقام خطيباً ، فقال : « هذه الخارجة ، وهذا المرسلها لو قدرت عليهما لشترت[3] بهما » ، ثم قال: « تخرج المرأة إلى أبيها يكيد بنفسه[4] ، وإلى أخيها يكيد بنفسه ، فإذا أخرجت فلتلبس معاوزها)[5] .

ورُوِى أنه رضى الله عنه سمع نائحة ، فأتاها ، فضربها بالدرة حتى وقع خمارها عن رأسها ، فقيل : « ياأمير المؤمنين ، المرأةَ المرأةَ ! قد وقع

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) انظر تخريجه ص (١٢٧).

(٣) شترت به تشتيراً : إذا سمعت به ، ونددت ، وأسمعته القبيح ، وكان حقيقة التشتير إبراز مساوىء الرجل ، وإظهار ما بطن منها ، من الشتر : وهو انقلاب فى الجفن الأسفل ، لأنه بروز ما حقه أن يبطن ، وهو عيب - انظر « الفائق » (٢٢٠/٢) ، و« غريب الحديث » (١٠٥/١) .

(٤) يكيد بنفسه : أى يسوق سياق الموت .

(٥) المعاوز : الخلقان ، واحدها : معوز ، من الإعواز ، وهو الفقر والحاجة - انظر : « الفائق » للزمخشرى (٢٢٠/٢) ، « غريب الحديث » للخطابى (١٠٤/٢ - ١٠٥) ، و« مصنف عبد الرزاق » (٣٧١/٤ - ٣٧٢) .

خمارها » ، فقال : « إنها لا حُرْمَةَ لها »[1] .

والشاهد جزع الصحابة رضى الله عنهم لما انحسر الخمار عن رأسها .

ولما دخل الثوار المتمردون على أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ليقتلوه حاولت زوجته نائلة بنت الفرافصة أن تستره بشعرها ، فقال لها أمير المؤمنين رضى الله عنه :

(خذى خمارك ، فلَعمرى لَدخولُهم علىَّ أعظم من حُرْمَة شعرك)[2] .

نماذج من حرص الصحابيات رضى الله عنهن على الستر

قالت عائشة رضى الله عنها - فى قصة الإفك : (فلما أخذوا برأس البعير فانطلقوا به ، فرجعت إلى المعسكر ، ومافيه من داعٍ ولا مجيب ، قد انطلق الناس ، فتلفعت بجلبابى ، ثم اضطجعت فى مكانى ، إذ مر بى صفوان بن المعطل السلمى ، وكان قد تخلف عن المعسكر لبعض حاجاته ، فلم يبت مع الناس فرأى سوادى ، فأقبل حتى وقف علىَّ ، فعرفنى حين رآنى ، وكان قد رآنى قبل أن يضرب علينا الحجاب ، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفنى ، فخمرت وجهى بجلبابى[3])،والشاهد منه مبادرتها رضى الله عنها إلى تغطية وجهها حرصاً على الستر ، وإقامة لحدود الله عز وجل .

وعن أم علقمة بن أبى علقمة قالت : (رأيت حفصة بنت عبد الرحمن بن أبى بكر دخلت على عائشة رضى الله عنها وعليها خمار رقيق يشف عن جبينها ، فشقته عائشة عليها ، وقالت:أما تعلمين ما أنزل الله فى سورة النور[4] ؟ ! ثم دعت بخمارٍ فكستها)[5]، وفى رواية الموطأ : (وكستها خماراً كثيفاً)[6] .

(١) « الجامع لأحكام القرآن » للقرطبى (٧٥/١٨) و «الزواجر» للهيتمي (١/ ١٦٠).

(٢) كذا (!) ولعله (ما دخولهم علىَّ)،أو يكون المقصود بالسياق الاستفهام الإنكارى ، والله أعلم .

(٣) انظر تخريجه ص (٣١٣).

(٤) تشير - رضى الله عنها - إلى قوله تعالى : ﴿ وليضربن بخمرهن على جيوبهن ﴾ النور .

(٥) انظر تخريجه ص (١٤٨)

(٦) « الموطأ » للإمام مالك (١٠٣/٣) .

ودخل عليها - رضى الله عنها - نسوة من نساء أهل الشام ، فقالت : لعلكن من الكُورة[1] التى يدخل نساؤها الحمامات ؟ قلن : نعم ، قالت : أما إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ما من امرأة تخلع ثيابها فى غير بيت زوجها إلا هتكت ما بينها وبين الله من حجاب)[2] .

وعن أم سلمة رضى الله عنها قال رسول الله ﷺ :
(أيما امرأة نزعت ثيابها فى غير بيتها ، خرق الله عز وجل عنها ستره)[3] ، وذلك لأن الجزاء من جنس العمل .

وعن أنس رضى الله عنه قال :
(أتى رسول الله ﷺ فاطمة بعبدٍ قد وهبه لها ، قال : وعلَى فاطمة رضى الله عنها ثوب ، إذا قَنَّعَتْ به رأسها ، لم يبلغ رجليها ، وإذا غطت به رجليها ، لم يبلغ رأسها ، فلما رأى النبى ﷺ ما تلقى قال « إنه ليس عليكِ بأسٌ ، إنما هو أبوك وغُلامُكِ[4] » .

وَيُرْوَى عن أم جعفر بنت محمد بن جعفر أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ قالت : « ياأسماء إنى قد استقبحت ما يصنع النساء أن يُطْرَحَ على المرأة الثوبُ فيصفها » ، فقالت أسماء : ياابنة رسول الله ألا أُرِيكِ شيئاً رأيته بالحبشة ؟ » ، فدعت بجرائد رطبة ، فحنتها ، ثم طرحت عليها ثوباً ، فقالت فاطمة: «ما أحسن هذا وأجمله تُعْرَفُ به المرأة من الرجل![5] فإذا مِت أنا فاغسليني أنت وعليٌّ ولا يدخل عَلَيَّ أحدٌ، فلما تُوُفِّيت غسلها عليٌّ وأسماء رضي الله عنهما)[6].

---

(١) (الكورة اسم يقع على جهة من الأرض مخصوصة كالشام والعراق وفلسطين ، ونحو ذلك) اهـ من « جامع الأصول » (٧ /٣٣٩) .

(٢) رواه أبو داود رقم (٤٠٠٩) و (٤٠١٠) فى الحمام فى فاتحته ، والترمذى رقم (٢٨٠٣) و (٢٨٠٤) فى الأدب : باب ما جاء فى دخول الحمام ، وقال : « هذا حديث حسن » .

(٣) تقدم تخريجه .

(٤) أخرجه أبو داود (٤ /٦٢) رقم (٤١٠٦) كتاب اللباس : باب فى العبد ينظر إلى شعر مولاته ، وعنه البيهقى (٧ /٩٥) ، وصححه الألبانى فى « الإرواء » (٦ /٢٠٦) .

(٥) وفي رواية أنها قالت لها: «سترَكِ الله كما سترتِني»، انظر: «سير أعلام النبلاء» (٢/ ١٢٩، ١٣٢)، و «المستدرك» (٣/ ١٦٢).

(٦) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٤٣)، والسياق له، والبيهقي (٤/ ٣٤ ـ ٣٥)، وفي سنده جهالة، قال ابن التركماني: «في سنده من يحتاج إلى كشف حاله» اهـ.

والشاهد منه أن فاطمة عليها السلام استقبحت أن يصف الثوب المرأة وهى ميتة ، فلا شك أن وصفه إياها وهى حية أقبح وأقبح .

ومثله ما جاء عن نافع و غيره أن الرجال والنساء كانوا يخرجون بهم سواء ، فلما ماتت زينب بنت جحش رضى الله عنها أمر عمر رضى الله عنه منادياً فنادى : « ألا لا يخرج على زينب إلا ذو رحم من أهلها » ، فقالت بنت عميس : « ياأمير المؤمنين ألا أريك شيئاً رأيت الحبشة تصنعه لنسائهم ؟ ، فَجَعَلَتْ نعشاً ، وغَشَّتْهُ ثوبها ، فلما نظر إليه قال : ما أحسن هذا ! ما أستر هذا » فأمر منادياً أن أخرجوا على أمكم .[1]

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال رسول الله ﷺ : (من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة) ، فقالت أم سلمة رضى الله عنها : كيف تصنع النساء بذيولهن ؟ قال : (يرخين شبراً) ، قالت : إذن تنكشف أقدامهن ، قال : فيرخين ذراعاً ، ولا يزدن عليه)[2] .

وعن عطاء بن أبى رباح قال : قال لى ابن عباس رضى الله عنهما : ألا أُريك امرأة من أهل الجنة : قلت : بلى ، قال هذه المرأة السوداء ، أتت النبى ﷺ ، فقالت : « إنى أُصْرَعُ ، وإنى أتكشف، فادع الله لى » ، قال : « إن شئت صبرتِ ولك الجنة ، وإن شئتِ دعوتُ الله عز وجل أن يعافيك » ، قالت : « أصبر » ، قالت : « فإنى أتكشف ، فادع الله أن لا أتكشف » فدعا لها[3] .

---

(١) رواه ابن سعد فى « الطبقات » (٨/ ٧٩)، و «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢١٣).

(٢) رواه الترمذى رقم (١٧٣١) فى اللباس : باب ماجاء فى جر ذيول النساء ، وقال : « حسن صحيح » ، والنسائى (٨/ ٢٠٩) فى الزينة : باب ذيول النساء ، وأبو داود رقم (٤١١٩) فى اللباس : باب فى قدر الذيل ، وفى روايته قال : (رخص رسول الله ﷺ لأمهات المؤمنين فى الذيل شبراً ، فاستزدنه ، فزادهن شبراً ، فكُن يُرْسِلْنَ إلينا ، فنذرع لهن ذراعاً) ، والشاهد فى هذه الرواية قوله : (فاستزدنه) مما يدل على شدة حرصهن على الستر .

(٣) أخرجه البخارى (١٠/ ١١٤ - سلفية) ، رقم (٥٦٥٢) فى المرضى : باب فضل من يصرع من الريح ، وقولها : « إنى أتكشف » ، قال الحافظ : المراد أنها خشيت أن تظهر عورتها وهى لا تشعر) اهـ (١٠/ ١١٥) .

والشاهد فيه حرصها على الستر حتى فى حال العذر ، ففى رواية البزار من وجه آخر عن ابن عباس رضى الله عنهما فى نحو هذه القصة أنها قالت : (إنى أخاف الخبيث أن يجردنى) الحديث .

وعن امرأة من الأنصار قالت : دخلت على أم سلمة رضى الله عنها ، فدخل عليها رسول الله ﷺ وكأنه غضبان ، فاستترت بكم درعى ، فتكلم بكلام لم أفهمه ، فقلت : ياأم المؤمنين كأنى رأيت رسول الله ﷺ غضبان ؟ قالت : نعم أوَ ما سمعتيه ؟ قالت : قلت : وماقال ؟ قالت : قال : (إن السوء إذا فشا فى الأرض فلم يُتناه عنه أنزل الله عز وجل بأسه على أهل الأرض) ، قالت : قلت : يارسول الله ! وفيهم الصالحون ؟ قال : (نعم ، وفيهم الصالحون ، يصيبهم ما أصاب الناس ، ثم يقبضهم الله عز وجل إلى مغفرته ورحمته ، أو إلى رحمته ومغفرته)[1] والشاهد قولها : « فاستترت بكم درعى » .

وعن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال : (أتيت النبى ﷺ فذكرت له امرأة أخطبها ، فقال : « اذهب فانظر اليها ، فإنه أجدر أن يؤدم بينكما » ، فأتيت امرأة من الأنصار فخطبتُها إلى أبويها ، وأخبرتهما بقول النبى ﷺ ، فكأنهما كرها ذلك ، قال : فسَمِعَتْ ذلك المرأةُ ، وهى فى خِدْرها ، فقالت : « إن كان رسول الله ﷺ أمرك أن تنظر فانظر ، وإلا فأنشُدك » ، كأنها أعظمت ذلك ، قال : فنظرتُ إليها فتزوجتُها ، فَذَكَر من موافقتها)[2] ، وموضع الشاهد منه واضح .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ (« إذا

---

(١) رواه الإمام أحمد فى « المسند » (٤١٨/٦) ، وقال فى « الفتح الربانى » : (أورده الهيثمى ، وقال : « رواه أحمد بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح » اهـ قلت : هو السند الأول من طريق يزيد بن هارون ، ورواه أيضاً الطبرانى فى « الكبير » ، وأبو نعيم فى « الحلية ») اهـ (١٧٥/١٩) .

(٢) روى شطره الأول : الترمذى رقم (١٠٨٧) ، وحسَّنه فى النكاح : باب ما جاء فى النظر إلى المخطوبة ، والنسائى - واللفظ له - (٦٩/٦ - ٧٠) فى النكاح : باب إباحة النظر قبل التزويج ، وصححه ابن حبان (١٢٣٦ - موارد) ، ورواه بطوله ابن ماجه رقم (١٨٨٨) (٥٧٥/١) والإمام أحمد (٢٤٥/٤) ، وقال فى « الفتح الربانى » (صححه ابن حبان ، والحاكم ، وأقره الذهبى) اهـ . (١٥٤/١٦) .

خطب أحدكم المرأة ، فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل » ، فخطبتُ جاريةً فكنتُ أتخبأ لها ، حتى رأيت منها مادعانى إلى نكاحها وتزوُّجها ، فتزوجتها)[1] ، والشاهد قوله ﷺ : (فإن استطاع) إلخ ، لأنه يبرز حرص المرأة المسلمة على الستر ، حتى ليشق على من أراد رؤيتها أن يراها إلا بعناء واستغفال واختباء ، وعن محمد بن مسلمة رضى الله عنه قال : (خطبت امرأةً ، فجعلت أتخبأ لها ، حتى نظرت إليها فى نَخْل لها ، فقيل له : أتفعل هذا ، وأنت صاحب رسول الله ﷺ ؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا ألقى الله فى قلب امرىء خِطبة امرأة ، فلا بأس أن ينظر إليها »)[2] ، ولو كانت هذه المرأة متكشفة معروضة كنساء هذا الزمان - إلا من رحم ربك - لما احتاج إلى الاختباء .

وفى رواية عن سهل بن أبى حثمة قال : (رأيت محمد بن مسلمة يطارد بثينة بنت الضحاك فوق إجَّار - وهو السطح الذى ليس حواليه ما يرد الساقط عنه - لها ببصره طرداً شديداً ، فقلت : أتفعل هذا وأنت من أصحاب رسول الله ﷺ ؟ ! ، فقال) فذكر الحديث .

وعن عاصم الأحول قال : (كنا ندخل على حفصة بنت سيرين ، وقد جعلت الجلباب هكذا ، وتنقبت به ، فنقول لها : رَحِمَكِ الله ، قال الله تعالى : ﴿ والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة ﴾ هو الجلباب ، قال : فتقول لنا : أى شىء بعد ذلك ؟ فنقول : ﴿ وأن يستعففن خير لهن ﴾ ، فتقول : هو إثبات الحجاب)[3] .

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٠٨٢) فى النكاح : باب الرجل ينظر إلى المرأة وهو يريد تزويجها ، والإمام أحمد (٣٣٤/٣ ، ٣٦٠) ، والحاكم (١٦٥/٢) ، وقال : « صحيح على شرط مسلم »، ووافقه الذهبى ، وقال الحافظ فى « الفتح » (١٨١/٩) : « سنده حسن » اهـ ، وقال فى « بلوغ المرام » : (رجاله ثقات) اهـ .

(٢) رواه سعيد بن منصور فى « سننه » رقم (١٥٩) ، وابن ماجه (١٨٨٦) (٥٧٤/١) ، والإمام أحمد (٢٢٥/٤) ، وإسناده ضعيف فيه الحجاج بن أرطاة ، وهو مدلس ، وقد عنعنه ، وقواه الألبانى بطرقه فى « الصحيحة » رقم (٩٨) .

(٣) أخرجه البيهقى (٩٣/٧) .

(ولما كان العلامة الكاسانى فى حلب طلبت منه زوجته الفقيهة فاطمة بنت السمرقندى الرجوع إلى بلاده ، فلما هَمَّ بذلك استدعاه الملك العادل نور الدين ، وسأله أن يقيم بحلب ، فعرَّفه أنه لا يقدر على مخالفة زوجه ، إذ هى بنت شيخه ، فأرسل الملك إلى فاطمة خادماً بحيث لا تحتجب منه ، ويخاطبها عن الملك فى ذلك ، فلم تأذن للخادم ، وأرسلت إلى زوجها تقول له : « أَبَعُدَ عهدُك بالفقه إلى هذا الحدّ ؟ أما تعلم أنه لا يحل أن ينظر إلىَّ هذا الخادم ؟ وأى فرق بينه وبين الرجال فى عدم جواز النظر ؟ فأرسل إليها الملك امرأة لتكلمها فى هذا)[1] .

سادساً : الحجـــاب حيـــاء

- الحياء مشتق من الحياة ، والغيث يسمى حيا - بالقصر - لأن به حياة الأرض والنبات والدواب ، وكذلك سميت بالحياء حياة الدنيا والآخرة ، فمن لا حياء فيه فهو ميت فى الدنيا ، شقى فى الآخرة ، وحقيقته أنه خُلُق يبعث على ترك القبائح ، ويمنع من التفريط فى حق صاحب الحق .
وبين الذنوب وبين قلة الحياء ، وعدم الغيرة تلازم من الطرفين ، وكل منهما يستدعى الآخر ، ويطلبه حثيثاً .[2]

- والحياء من أبرز الصفات التى تنأى بالمرء عن الرذائل ، وتحجزه عن السقوط إلى سفاسف الأخلاق ، وحمأة الذنوب ، كما أن الحياء من أقوى البواعث على الفضائل وارتياد معالى الأمور :
عن أبى السَّوَّار العدوى حسان بن حريث قال : سمعت عمران بن حصين رضى الله عنهما يقول : قال رسول الله ﷺ : « الحياء لا يأتى إلا بخير » ،

---

(١) (كذا فى « الجواهر المضيئة » بدائع الصنائع للكاسانى) اهـ - ذكره فى « رؤية دينية فى ضوء العصر » ص (١٤) ..

(٢) انظر : « الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى » ص (٧٢) ، « مدارج السالكين » (٢٥٩/٢) .

وفى رواية قال : « الحياء خير كله » ، أو قال : « الحياء كله خير » شك الراوى[1] .

– ولعظيم أثره جعله الإسلام فى طليعة خصائصه الأخلاقية :
يُرْوَى عن زيد بن طلحة أنه قال : قال رسول الله ﷺ :
(إن لكل دين خلقاً ، وخلق الإسلام الحياء)[2] .

– وَبَيَّن ﷺ أن الحياء لم يزل مستحسناً فى شرائع الأنبياء الأولين ، وأنه لم يُرفع ، ولم ينسخ فى جملة ما نسخ الله من شرائعهم ، فعن أبى مسعود البدرى رضى الله عنه أن رسول الله قال :
(إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فافعل ماشئت)[3] .

– (والحياء نوعان أولهما : نفسى ، وهو الذى خلقه الله تعالى فى جميع النفوس ، كحياء كل شخص من كشف عورته والوقاع بين الناس ، والآخر : إيمانى ، وهو خصلة تمنع المؤمن من ارتكاب المعاصى خوفاً من الله تعالى ، وهذا القسم من الحياء فضيلة يكتسبها المؤمن ، ويتحلى بها ، وهى أُمُّ كل الفضائل الأخرى .

فلذلك وجب على المسلمين أن يُعَوِّدُوا بناتهم على الحياء ، والتخلق بهذا الخلق الذى اختاره الله تعالى لدينه القويم ، لأن عدم الحياء علامة لزوال الإيمان ، ولا يخفى ما يتولد عن ذلك من العواقب الوخيمة)[4] .

---

(١) أخرجه البخارى (١٠/٤٣٣) فى الأدب : باب الحياء ، ومسلم رقم (٣٧) فى الحياء : باب بيان عدد شعب الإيمان ، وأبو داود رقم (٤٧٩٦) فى الأدب : باب الحياء .

(٣) رواه الإمام مالك فى « الموطأ » (٢/٩٠٥) فى حسن الخلق : باب ما جاء فى الحياء مرسلاً ، ووصله ابن ماجه رقم (٤١٨١) و(٤١٨٢) بسندين ضعيفين .

(٣) أخرجه البخارى (١٠/٤٣٤) فى الأدب : باب إذا لم تستح فاصنع ما شئت ، وفى الأنبياء : باب ما ذكر عن بنى إسرائيل ، وأبو داود رقم (٤٧٩٧) فى الأدب : باب ما جاء فى الحياء ، وابن ماجه رقم (٤١٨٣) فى الزهد : باب الحياء .

(٤) « حجاب المرأة العفة والأمانة والحياء » تأليف السيد عبد الله جمال الدين أفندى ص (١٥) .

عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (الحياءُ والإيمانُ قُرِنا جميعاً ، فإذا رُفِعَ أحَدُهُما رُفِعَ الآخر)[1] ،

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :
(الحياء من الإيمان ، والإيمان فى الجنة ، والبذاء من الجفاء ، والجفاء فى النار)[2] .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ مَرَّ على رجل من الأنصار ، وهو يَعِظ أخاه فى الحياء ، فقال رسول الله ﷺ :
(دَعْهُ فإن الحياء من الإيمان)[3] .

– والحياء من أخلاق الملائكة عليهم السلام :
فعن عائشة رضى الله عنها قالت : (لما كانت ليلتى التى كان النبى ﷺ فيها عندى ، انقلب فوضع رداءه ، وخلع نعليه ، فوضعهما عند رجليه، وبسط طرف إزاره على فراشه ، فاضطجع ، فلم يلبث إلا ريثما ظهر أنه قد رقدت ، فأخذ رداءه رويداً ، وانتعل رويداً ، وفتح الباب رويداً ، فخرج ، ثم أجافه رويداً) الحديث ، وفيه أنه ﷺ قال لها : (فإن جبريل أتانى حين رأيتِ،فنادانى ، فأخفاه منك ، فأجبتُه ، فأخفيتُه منكِ ، ولم يكن ليدخل عليك ، وقد وضعت ثيابك ، وظننت أن قد رقدت ، فكرهت أن أوقظك ، وخشيت أن تستوحشى ، فقال : إن ربك يأمرك أن تأتى أهل البقيع فتستغفر لهم)[4] الحديث .

---

(١) رواه الحاكم فى « المستدرك » (١/٢٢) ، وقال : « هذا حديث صحيح على شرطهما » وأقره الذهبى .

(٢) أخرجه الترمذى رقم (٢٠١٠) فى البر والصلة : باب ماجاء فى الحياء ، وقال الترمذى : « حسن صحيح » .

(٣) رواه البخارى (١/٦٩) فى الإيمان : باب الحياء من الإيمان ، وفى الأدب : باب الحياء ، ومسلم رقم (٣٦) فى الإيمان : باب بيان عدد شعب الإيمان ، والترمذى رقم (٢٦١٨) فى الإيمان : باب ما جاء أن الحياء من الإيمان ، وأبو داود رقم (٤٧٩٥) فى الأدب : باب فى الحياء ، والنسائى (٨/١٢١) فى الإيمان : باب الحياء ، وابن ماجه رقم (٥٨) فى المقدمة : باب فى الإيمان .

(٤) أخرجه مسلم (٣/١٤) واللفظ له ، والنسائى (١/٢٨٦) ، (٢/١٦٠ – ١٦١) ، والإمام أحمد (٦/ ٢٢١)، وانظر: «سير أعلام النبلاء» (٢/ ١٩٦).

والشاهد منه أن جبريل عليه السلام استحيا أن يدخل عليها ، وقد وضعت ثيابها رضى الله عنها ، فنادى رسول الله ﷺ دون أن يدخل .

وكانت شدة الحياء من أخلاق رسول الله ﷺ ، وهو المثل الأعلى لكل مسلم ومسلمة .

فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال :
(كان رسول الله ﷺ أشدَّ حياءً من العذراء فى خِدرها ، فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه فى وجهه)[1] .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : (سألت امرأة النبى ﷺ كيف تغتسل من حيضتها ؟ قال : فذكرت أنه علمها كيف تغتسل ثم تأخذ فرصة من مسك فتطهر بها ، قالت : كيف أتطهر بها ؟ قال : تطهرى بها سبحان الله،واستتر ، وأشار لنا سفيان بن عيينة - أحد رواة الحديث - بيده على وجهه ، قال : قالت عائشة: واجتذبتها إلىّ،وعرفت ما أراد النبى ﷺ فقلت : تتبعى بها أثر الدم)[2] .

ولهذا تأدب أصحابه رضى الله عنهم بهذا الخلق الإيمانى ، واختص بعضهم بمزية ظاهرة فيه ، منهم أميرُ البررة ، وقتيلُ الفجرة عثمان بن عفان رضى الله عنه :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ :
(الحياء من الإيمان ، وأحيى أمتى عثمان)[3] ومـــن فضائله رضى الله عنه ماروته أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال لها : (ياعائشة ألا

---

(١) أخرجه البخارى (٤٣٤/١٠) فى الأدب : باب الحياء ، وفى الأنبياء : باب صفة النبى ﷺ، ومسلم رقم (٢٣٢٠) فى فضائل النبى ﷺ : باب كثرة حيائه ﷺ ، والخِدْر : بالكسر سِتر يمد للجارية فى ناحية البيت ، راجع « تاج العروس » للزبيدى (١٧٠/٣) .

(٢) رواه مسلم (١٣/٤ - ١٥) بشرح النووى .

(٣) رواه ابن عساكر - وانظر « سلسلة الأحاديث الصحيحة » رقم (١٨٢٨) (٤٤٢/٤) ، وابن ماجه المقدمة باب رقم (١١) ، والإمام أحمد (٧٤/١) ، (١٨٤/٣ ، ٢٨١) .

أستحيى من رجل والله إن الملائكة لتستحيى منه ؟)[1] .

وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال :

(إنى لأدخل البيت المظلم أغتسل فيه من الجنابة ، فأحنى فيه صلبى حياءً من ربى)[2] ، وكذلك كان حال نساء الصحابة رضى الله عنهن ، فلقد جاءت فاطمة بنت عتبة رضى الله عنها تبايع رسول الله ﷺ ، فأخذ عليها : ﴿ أن لايشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ﴾ الآية ، فوضعت يدها على رأسها حياءً ، فأعجبه ما رأى منها ، فقالت عائشة رضى الله عنها : « أقِرِّى أيتها المرأة ، فوالله ما بايعنا إلا على هذا » ، قالت : « فنعم إذاً » ، فبايعها بالآية[3] .

النقـــاب
حـــارس الحيـــاء

إن الوجه المصون بالحياء ، كالجوهر المكنون فى الوعاء ، ولن تتزين امرأة بزينة هى أحمدُ ولا أجملُ من برقع الحياء ، قال رسول الله ﷺ :
(وماكان الحياء فى شىء إلا زانه)[4] .

ولقد أبرز القرآن الكريم خلق الحياء فى ابنتى الرجل الصالح ، اللتين انحدرتا من بيت كريم ، كله عفة وطهارة ، وحسن تربية ، وآية ذلك ماحكى القرآن من صيانتهما وحيائهما .

---

(١) رواه الإمام أحمد فى « المسند » (٦٢/٦) ، وروى نحوه مسلم رقم (٢٤٠١) فى فضائل الصحابة : باب من فضائل عثمان رضى الله عنه .

(٢) « المستطرف » (١١٣/١) .

(٣) رواه الإمام أحمد فى « المسند » (١٥١/٦) .

(٤) عجز حديث رواه عن أنس رضى الله عنه الترمذى رقم (١٩٧٥) فى البر والصلة : باب ماجاء فى الفحش والتفحش ، وحسَّنه ، وابن ماجه رقم (٤١٨٥) فى الزهد : باب الحياء ، والإمام أحمد (١٦٥/٣) ، والبخارى فى « الأدب المفرد » (٦٠١/٢) .

فعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى تفسير قوله تعالى : ﴿ فجاءته إحداهما تمشى على استحياء ﴾[1] .

قال : (ليست بِسَلْفع[2] من النساء خرَّاجة ولَّاجة ، ولكن جاءت مستترة ، قد وضعت كُمَّ دِرْعها على وجهها استحياءً)[3] ، ورواه ابن أبى حاتم فقال : حدثنا أبو نعيم حدثنا إسرائيل عن أبى إسحق عن عمرو بن ميمون قال : قال عمر رضى الله عنه : (جاءت تمشى على استحياء ، قائلةً بثوبها على وجهها ، ليست بسَلْفَعٍ من النساء ولَّاجة خَرَّاجة).[4]

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كنت أدخل البيت الذى دفن فيه رسول الله ﷺ وأبى رضى الله عنه واضعةً ثوبى ، وأقول : إنما هو زوجى وأبى ، فلما دُفن عمر رضى الله عنه ، والله ما دخلتُهُ إلا مشدودةً عَلَيَّ ثيابى حياءً من عمر رضى الله عنه)[5] .

وروى البخارى فى صحيحه بسنده عن فاطمة عليها السلام أن رسول الله ﷺ (جاءها وعليًّا رضى الله عنه وقد أخذا مضاجعهما) الحديث ، وفيه فى

---

(١) (القصص : ٢٥) .

(٢) امرأة سلفع : سليطة جريئة ، قال فى « لسان العرب » :
(وفى الحديث : شرهن السلفعة البلقعة : البذية الفحاشة القليلة الحياء ، ورجل سلفع : قليل الحياء ، وفى حديث أم الدرداء : « شر نسائكم السلفعة » هى الجريئة على الرجال ، وأكثر ما يوصف به المؤنث ، وهو بلاهاء أكثر ، ومنه حديث ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : ﴿ فجاءته إحداهما تمشى على استحياء ﴾ قال : ليست بسلفع) اهـ مختصراً (١٠/٣٥ - ٣٦) .

(٣) (أخرجه الفريابى ، وابن أبى شيبة فى « المصنف » ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والحاكم ، وصححه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه) اهـ من « الدر المنثور » (٥/١٢٤) .

(٤) ذكره ابن كثير من رواية ابن أبى حاتم ، وقال : (هذا إسناد صحيح) اهـ من « تفسير القرآن العظيم » (٦/٢٣٨) ، وقال ابن كثير فى تفسير الآية : (أى تمشى مشى الحرائر ، كما روى عن أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه أنه قال : « كانت مستترة بكم درعها ») اهـ (٦/٢٣٨) ، وانظر : « المستدرك » (٢/٤٠٧) .

(٥) « السمط الثمين فى مناقب أمهات المؤمنين » ص (٩١) ، وقد روى نحوه الحاكم (٤/٧) وقال : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه) ، وسكت عنه الذهبى .

رواية على بن أعبد : (فجلس عند رأسها ، فأدخلت رأسها فى اللفاع ، حياءً من أبيها)[1] الحديث .

والحادثة التالية – إن صحت – تجسد قيمة الحياء :

عن فرج بن فضالة عن عبد الخبير بن ثابت بن قيس بن شماس عن أبيه عن جده قال :
« جاءت امرأة إلى النبى ﷺ يقال لها أم خلاد وهى منتقبة تسأل عن ابنها وهو مقتول فقال لها بعض أصحاب النبى ﷺ : « جئت تسألين عن ابنك وأنت منتقبة ؟ ! ، » فقالت : « إن أرزأ ابنى فلن أرزأ حيائى »، فقال رسول الله ﷺ : « ابنك له أجر شهيدين ، قالت : ولم ذاك يارسول الله ؟ قال : لأنه قتله أهل الكتاب »[2] .

ومما يؤكد ارتباط تغطية الوجه بشدة الحياء ما ثبت :
عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : (جاءت أم سُلَيم إلى رسول الله ﷺ فقالت : « يارسول الله ، إن الله لا يستحيى من الحق ، فهل على المرأة من غسلٍ إذا احتلمت » ؟ ، قال النبى ﷺ : « إذا رأت الماء » ، فغطَّت أم سلمة[3] – تعنى وجهها – وقالت : « يارسول الله ، وتحتلم المرأة ؟ » ، قال : « نعم ، تربت يمينك ، ففيم يشبهها ولدها ؟)[4] .

ومما يذكر فى كتب التاريخ والأدب أن النابغة أحد فحول الشعر الجاهلى قد

---

(١) « فتح البارى » (١٢١/١١) .

(٢) رواه أبو داود (٥/٣ – ٦) رقم (٢٤٨٨) فى الجهاد : باب فضل قتال الروم على غيرهم من الأمم ، وفى إسناده عبد الخبير بن ثابت قال البخارى : « روى عن فرج بن فضالة ، حديثه ليس بالقائم ، فرج عنده مناكير » ، وقال أبو حاتم الرازى : « عبد الخبير حديثه ليس بالقائم ، منكر الحديث » انظر « مختصر المنذرى » (٣٥٩/٣) .

(٣) قال الحافظ : (فى مسلم من حديث أنس أن ذلك وقع لعائشة أيضاً ، ويمكن الجمع بأنهما كانتا حاضرتين) اهـ من « الفتح » (٢٢٩/١) .

(٤) رواه البخارى رقم (١٣٠) ، فى العلم : باب الحياء فى العلم – وانظر « الفتح » (٢٣٨/١) .

مرت به امرأة النعمان فى مجلس فسقط نصيفها (أى برقعها) الذى كانت قد تقنعت به فسترت وجهها بذراعيها وانحنت على الأرض ترفع النصيف بيدها الأخرى ، فطلب النعمان من النابغة أن يصف هذه الحادثة فى قصيدة فعمل القصيدة التى مطلعها :

أمن آل أمية رائح ومغتدى   عجلان ذا زاد وغير مزود

إلى أن قال :

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه   فتناولتـه واتقتنـا باليـد[1]

إن التجرد من خلق الحياء مدرجة الهلاك ، والسقوط من درك إلى درك إلى أن يصبح الإنسان صفيق الوجه ، وينزع منه خلق الإسلام ، فيجترىء على المخالفات ، ولا يبالى بالمحرمات ، وهناك تلازم بين ستر ما أوجب الله ستره ، وبين التقوى ، كلاهما لباس ، هذا يستر عورات القلب ويزينه ، وذاك يستر عورات الجسم ويزينه ، وهما متلازمان :

فمن شعور التقوى لله والحياء منه ينبثق الشعور باستقباح التكشف والحياء منه .

قال تعالى : ﴿ يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسًا يوارى سوءاتكم وريشاً ، ولباس التقوى ذلك خير ﴾[2] الآية .

قال الشاعر :

إذا المرء لم يلبس ثيابًا من التقى   تقلب عريانًا وإن كان كاسيا
وخير خصال المرء طاعة ربه   ولا خير فيمن كان لله عاصيا

إن مسارعة آدم وحواء إلى ستر عوراتهما بأوراق الشجر دليل على أن الحياء عنصر أصيل مركوز فى فطرة الإنسان ، فعليه أن يهتم به ، ويحافظ عليه ، ويصونه من أن يُثلم ، ففى صيانته ، وسلامته سلامة للفطرة من أن تمسخ أو

(١) تقدم ص (٨٢).

(٢) (الأعراف : ٢٦) .

تحرف ، لأن فى انحرافها مسخاً وتشويهاً لآدميته ، ولأن الحياء شعبة من شعب الإيمان ، فمن تمسك به فقد تحصن ضد الشيطان ، وأغلق فى وجهه باباً منيعاً ، لو قدر له أن يدخل منه ، لنال صاحبَه شر عظيم ، والعياذ بالله .

إذا لم تخش عاقبة الليالى ولم تستحيِ فاصنع ماتشاء
فلا والله مافى العيش خيرٌ ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

سابعاً : الحجاب يناسب الغيرة

إن الحجاب يتناسب مع الغيرة التى جبل عليها الإنسان السوىُّ ، والغيرة غريزة تستمد قوتها من الروح ، والتحرر عن القيود غريزة تستمد قوتها من الشهوة ، فهذه تغرى بالسفور ، وتلك تبعث على الاحتجاب .

إن المدنية الغربية انحازت إلى الطبيعة الأولى ، وقررت أن لا تحرم المنتسبين إليها التمتع بسفور النساء ، واختلاط الجنسين ، وضحَّت بالطبيعة الثانية فى سبيل ذلك ، فالرجل الغربى يخالط نساء الناس ، ويجالسهن متهتكات ، مقابل التنازل عن غيرته على زوجته وأخته وبنته ، فيخالطهن غيره ، ويجالسهن .

إن القضاء على الغيرة بلغ عند مدنية الغرب إلى أن اعتبرتها من النقائص ، بالرغم من أن الإنسان يشعر بفطرته أنها فضيلة ، وتواضع كتابها وشعراؤها على تغيير هذه الفطرة .

ومن الدليل على كون السفوريين يتكلفون إسكات صوت الغيرة فى قلوبهم ، وإماتتها مقابل ما يتمتعون به من الاختلاط بنساء غير نسائهم أن مقلدتهم من المسلمين لا يسمحون بالدخول على نسائهم إلا لمن يسمح لهم بالدخول على نسائه ، فلو قصدوا بالسفور الذى يدعون له إلى تحرير المرأة من أسر الاحتجاب كما يدعونه ، لما حافظوا على شرط المعاوضة فى سفور نسائهم عند أى رجل من معارفهم(١) .

---

(١) انظر : « قولى فى المرأة » ص (٢٥ - ٢٧) .

وفى السطور التالية نتوقف قليلًا لنفصل معنى الغيرة وفضيلتها ، وبيان ارتباطها الوثيق بقضية صيانة المرأة وحفظ العرض ، فنقول بتوفيق الله وحده :

إن من آثار تكريم الإسلام للمرأة ما غرسه فى نفوس المسلمين من الغيرة ، ويُقْصَدُ بالغيرة تلك العاطفة التى تدفع الرجل لصيانة المرأة عن كل مُحرم ، وشين ، وعار .

قال النحاس : (الغيرة هى أن يحمى الرجل زوجته وغيرها من قرابته ، ويمنع أن يدخل عليهن ، أو يراهن غيرُ مَحْرَمٍ)[1] .

ويَعُدُّ الإسلام الدفاع عن العرض ، والغيرة على الحريم جهاداً يبذل من أجله الدم ، ويضحى فى سبيله بالنفس ، ويجازى فاعله بدرجة الشهيد فى الجنة .

فعن سعيد بن زيد رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (من قُتِلَ دُونَ ماله فهو شهيد ، وَمَنْ قُتِلَ دون دَمِهِ فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد)[2] .

بل يعد الإسلام الغيرة من صميم أخلاق الإيمان ، فمن لا غيرة له لا إيمان له ، ولهذا كان رسول الله ﷺ أغير الخلق على الأمة : فعن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال : قال سعد بن عبادة : (لو رأيت رجلًا مع امرأتى لضربته بالسيف غيرَ مُصْفِحٍ[3] ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فقال : تعجبون من غيرة سعد ؟ والله ، لأنا أغير منه ، والله أغيرُ منى ، ومن أجل غيرة الله حرَّم الفواحش ماظهر منها ، وما بطن)[4] الحديث .

(١) « زاد المسلم » (٥ /١٥٨) .

(٢) رواه الترمذى رقم (١٤١٨) ، (١٤٢١) فى الديات : باب ما جاء فيمن قتل دون ماله فهو شهيد ، وأبو داود رقم (٤٧٧٢) فى السنة : باب فى قتال اللصوص ، والنسائى (٧/١١٥ ، ١١٦) فى تحريم الدم : باب من قتل دون ماله ، وابن ماجه رقم (٢٥٨٠) فى الحدود : باب من قتل دون ماله فهو شهيد ، وأحمد فى « المسند » رقم (١٦٢٨) ، وقال الترمذى : « حديث حسن صحيح » .

(٣) ضربه بالسيف غير مصفح : إذا ضربه بحدّه ، وضربه صَفْحاً : إذا ضربه بعرضه .

(٤) رواه البخارى (١٢/١٥٤ ، ١٥٥) فى المحاربين : باب من رأى مع امرأته رجلاً فقتله ، وفى التوحيد ، ورواه تعليقًا فى النكاح : باب الغيرة ، ومسلم رقم (١٤٩٩) فى اللعان : فى فاتحته .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :
(إن الله يغار ، وإن المؤمن يغار ، وإن غيرة الله : أن يأتى المؤمنُ ما حَرَّم الله عليه)[1].

وإن من ضروب الغيرة المحمودة : أنفةَ المحبِّ وحميته أن يشاركه فى محبوبه غيره ، ومن هنا كانت الغيرة نوعاً من أنواع الأثرة ، لابد منه لحياطة الشرف ، وصيانة العرض ، وكانت أيضاً مثار الحمية والحفيظة فيمن لاحمية له ولا حفيظة .

وضد الغيور الدَّيُّوث ، وهو الذى يقر الخبث فى أهله ، أو يشتغل بالقيادة ، (وقال العلماء أيضاً : الديوث الذى لا غيرة له على أهل بيته)[2] ، (وفى المحكم : الديوث الذى يُدخل الرجال على حرمه بحيث يراهم)[3] ، وقد ورد الوعيد الشديد فى حقه :

فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال رسول الله ﷺ :
(ثلاثة لاينظر الله عز وجل إليهم يوم القيامة : العاق لوالديه ، والمرأة المترجِّلة ، والدَّيُّوث)[4] الحديث .

إن الغيرة على حرمة العفة ركن العروبة ، وقوام أخلاقها فى الجاهلية والإسلام ، لأنها طبيعة الفطرة البشرية الصافية النقية ، ولأنها طبيعة النفس الحرة الأبية .

لقد رأينا هذا الخلق يستقر فى نفوس الجاهليين الذين تذوقوا معانى تلك الفضائل ، وتحلوا بها ، فإذا هم يغارون على عِرض جيرانهم من هوى أنفسهم ذاتهم ، استمع معى إلى عنترة يقول مفتخراً بنفسه :

---

(١) رواه البخارى (٢٨١/٩) فى النكاح : باب الغيرة ، ومسلم رقم (٢٧٦١) فى التوبة : باب غيرة الله تعالى ، وتحريم الفواحش ، والترمذى رقم (١١٦٨) فى الرضاع : باب ما جاء فى الغيرة .

(٢) « النهاية فى غريب الحديث » (١٤٧/٢) .

(٣) « الزواجر » للهيتمى (٥٢/٢) .

(٤) أخرجه النسائى (٣٥٧/١) واللفظ له ، والإمام أحمد (١٣٤/٢) ، وابن خزيمة فى « التوحيد » (٢٣٥) ، وابن حبان (٥٦) ، وصححه العلامة أحمد شاكر رقم (٦١٨٠) (٣٤/٩) .

وأغض طرفى إن بدت لى جارتى ... حتى يوارى جارتى مأواها

وقول حاتم الطائى :

إذا ما بت اختل عرس جارى ... ليخفينى الظلام فلا خفيت
أأفضح جارتى وأخون جارى ... فلا والله أفعل ما حييت

وفى عصر الإسلام يقول مسكين الدرامى :

نارى ونار الجار واحدة ... وإليه قبلى تنزل القِدْرُ
ماضر جارى إذ أجاوره ... أن لايكون لبيته سِتْر
أعمى إذا ما جارتى خرجت ... حتى يوارىَ جارتى الخِدر

ويقول آخر فى جارته أيضاً :

ولم أكن طلَّاباً أحاديث سِرِّها ... ولا عالماً إذا ما مرت أى جنسٍ ثيابها

وربما قامت الحروب غيرة على المرأة ، وحمية لشرفها ، واستجابة لاستغاثتها واستنجادها : فقد (تدافع أشراف العرب فى مساق عامتهم يوم الفِجار[١] قريش وهوازن وكان من أمر ذلك أن شبابًا من كِنانة أطافوا بامرأة من غِمار الناس فى سوق عُكاظ ، فأعجبهم ما رأَوْا من حسنها ، وسألوها أن تُسْفِرَ لهَم عن وجهها ، فأبت ذلك عليهم ، فأخذوا يُعْنِتُونَها[٢] ويسخرون بها ، وهنالك نادت : يا آل عامر ! » ، فَلَبَّتْها سيوف بنى عامر ، ووقف بنو كنانة يدرأون عن فتيانهم ، وهاجت هَوَازِنُ لعامر ، واغتمرت قريش فى كنانة[٣] ، وهنالك تفجرت الدماء ، وتناثرت الأشلاء[٤] ، ولولا حكمة بدرت من حرب بن أمية يومئذ لَكان الخطب أفدحَ ، والمصاب أطَمَّ ، فقد وقف بين القوم فحسم

---

(١) حروب الفِجار حروب نشبت بين العرب فى الجاهلية فى سوق عكاظ وهى أربع ، وإنما دعيت بهذا الاسم لأن الغرب أباحوا فيها حرمة الأشهر الحرم ، فقاتلوا ، فكان ذلك منهم فِجاراً أى تفاجراً .

(٢) أعنته : شق عليه .

(٣) عامر بطن من بطون هوازن ، وقريش فرع من فروع كنانة .

(٤) الأشلاء - جمع شلو - قطع اللحم .

ضغينتهم ، واحتمل ديات قتلاهم)[1] .

نماذج من غيرة الصحابة رضى الله عنهم

فهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان شديد الغيرة على النساء ، فهو الذى أشار على الرسول ﷺ بحجب نسائه ، فوافقه القرآن فعن أنس رضى الله عنه قال عمر رضى الله عنه : قلت : يارسول الله : يدخل عليك البر والفاجر ، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب ، فأنزل الله آية الحجاب)[2] .

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال رسول الله ﷺ : (رأيتنى دخلت الجنة) الحديث وفيه : (ورأيت قصراً بفنائه جارية ، فقلت : « لمن هذا ؟ » ، فقال : « لعمر » فأردت أن أدخله فأنظر إليه ، فذكرت غيرتك)، وفى رواية أبى هريرة رضى الله عنه : (فقلت : لمن هذا القصر ؟ قالوا : لعمر ، فذكرت غيرته ، فولَّيت مُدْبِراً) فقال عمر : بأبى وأمى يارسول الله ﷺ ، أعليك أغار » ؟[3] .

وعن أبى السائب مولى هشام بن زُهرة رضى الله عنه : أنه دخل على أبى سعيد الخدرى فى بيته ، قال : فوجدته يصلى ، فجلست أنتظره جتى يقضى صلاته ، فسمعت تحريكاً فى عراجين فى ناحية البيت ، فالتفتُّ ، فإذا حَيَّةٌ ، فوثبت لأقتلها ، فأشار إلىَّ أن اجلس ، فجلست،فلما انصرف أشار إلى بيت فى الدار ، فقال : « أترى هذا البيت » ؟ ، فقلت : « نعم » ، فقال : كان فيه فتى منا حديث عهد بعُرس ، قال : فخرجنا مع رسول الله ﷺ إلى

(١) « العقد الفريد » (٣/١٠٩) ، وانظر « المرأة العربية » (١/٢٧ - ٢٨) .

(٢) رواه البخارى (٨/٥٢٧ - فتح) رقم (٤٧٩٠) فى التفسير : باب ﴿ لا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم ﴾ الآية .

(٣) رواه البخارى (٧/٤٠) فى فضائل الصحابة : باب مناقب عمر بن الخطاب رضى الله عنه رقم (٣٦٧٩) ، (٣٦٨٠) ، وقال السفارينى : (أى : كيف أغار على دخولك قصراً أنت السبب فى حصوله لى ؟ بل وأنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم) اهـ من « شرح ثلاثيات المسند » (٢/٢١) .

الخندق ، فكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله ﷺ بأنصاف النهار فيرجع إلى أهله ، فاستأذنه يوماً ، فقال له رسول الله ﷺ : « خذ عليك سلاحك ، فإنى أخشى عليك قريظة » ، فأخذ الرجل سلاحه ، ثم رجع ، فإذا امرأته بين البابين قائمة ، فأهوى إليها بالرمح ليطعنها به – وأصابته غيرة – فقالت له : أكفف عليك رمحك ، وادخل البيت حتى تنظر ماالذى أخرجنى ، فدخل، فإذا بحيَّة عظيمة مُنْطَوِيةٍ على الفراش ، فأهوى إليها بالرمح فانتظمها به ، ثم خرج فركزه فى الدار ، فاضطربت عليه ، فما يُدْرى أيهما كان أسرع موتاً الحية أم الفتى ؟ قال : فجئنا إلى رسول الله ﷺ ، وذكرنا ذلك له ، وقلنا : ادْعُ الله يحييه لنا ، فقال : « استغفروا لصاحبكم » ، ثم قال : « إن بالمدينة جنًّا قد أسلموا ، فإذا رأيتم منهم شيئاً ، فآذنوه ثلاثة أيام ، فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه ، فإنما هو شيطان »[1] .

والشاهد منه قول الراوى : (وأصابته غيرة) .

وعن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : (ألا تستحيون ألا تغارون ; أن يخرج نساؤكم ؟! فإنه بلغنى أن نساءكم يخرجن فى الأسواق يزاحمن العُلوج[2] ، « أما تغارون ؟ إنه لا خير فيمن لا يغار»)[3] .

(وذكر أبو عمر فى « التمهيد » أن عمر رضى الله عنه لما خطب عاتكة بنت زيد شرطتْ عليه ألّا يضربها ، ولا يمنعها من الحق ، ولا من الصلاة فى المسجد النبوى ، ثم شرطت ذلك على الزبير ، فتحيَّل عليها أن كمن لها لما خرجت إلى صلاة العشاء ، فما مَرَّت به ضرب على عَجيزتها ؛ فلما رجعت قالت :

« إنا لله ! فسد الناس ! » ، فلم تخرج بعد)[4] .

---

(١) رواه مسلم (١٤/٢٣٤ – ٢٣٥) بشرح النووى ، كتاب قتل الحيات وغيرها ، وانظر « المرقاة » (٤/٣٤٣) .

(٢) انظر : « المسند » بتحقيق أحمد شاكر (٢/٢٥٥)، وصححه ، (والعُلوج : جمع عِلْج ، وهو الرجل من كفار العجم ، أو الضخم القوى) اهـ من « الفتح الربانى » (١٧/٣٠٣) .

(٣) هذه الزيادة فى « المغنى » لابن قدامة (٧/٢٧) .

(٤) « الإصابة » (٨/١٢) ، وانظر : « أسد الغابة » (٦/١٨٥) .

ويروى أن ابن مسعود رضى الله عنه قال : (إن الله ليغار للمسلم ، فَلْيَغَرْ)[1].

ولما دخل الخوارج المفسدون على أمير البررة ، وقتيل الفجرة عثمان بن عفان رضى الله عنه ليقتلوه ، حاولت زوجه الوفية نائلة بنت الفرافصة رضى الله عنها أن تستر أمير المؤمنين بشعرها ، فقال لها : (خذى خمارَكِ ، فلعمرى لدخولهم على أعظم من حرمة شعرك)[2].

أحـــداث صنعتهـــا الغيـــرة

• ذكر الحافظ ابن كثير - رحمه الله - فى حوادث سنة ست وثمانين ومائتين : (قال فى المنتظم : ومن عجائب ما وقع من الحوادث فى هذه السنة أن امرأة تقدمت إلى قاضى الرى[3] ، فادَّعت على زوجها بصداقها خمسمائة دينار ، فأنكره ، فجاءت ببينة تشهد لها به ، فقالوا : « نريد أن تسفر لنا عن وجهها حتى نعلم أنها الزوجة أم لا ؟ » ، فلما صمَّموا على ذلك قال الزوج :«لا تفعلوا ، هى صادقة فيما تدَّعيه»، فأقرَّ بما ادَّعَتْ ليصون زوجته عن النظر إلى وجهها ، فقالت المرأة حين عرفت ذلك منه ، وأنه إنما أقر ليصون وجهها عن النظر : « هو فى حِلٍّ من صداق عليه فى الدنيا والآخرة »)[4] اهـ ، زاد الحافظ السمعانى فى « الأنساب » : (فقال القاضى وقد أعجب بغيرتهما : « يُكْتَبُ هذا فى مكارم الأخلاق ») اهـ .

• ويذكر بعض المؤرخين فى حسنات الحجاج بن يوسف الثقفى : (أن امرأة مسلمة سُبيت فى الهند ، فنادت : « واحَجَّاجاه »،واتصل به

(١) « أخبار النساء » ص (٨٢) .

(٢) « أعلام النساء » لكحالة (٥/ ١٥٠)، و «الدر المنثور في طبقات ربات الخدور» ص (٥١٧).

(٣) سماه السمعانى : موسى بن إسحق الأنصارى الخطمى .

(٤) « البداية والنهاية » (٨١/١١) .

ذلك ، فجعل يقول : « لبيكِ » ، وأنفق سبعة ملايين من الدراهم حتى أنقذ المرأة)[1] .

- وهذه امرأة شريفة أسرها الروم ، لا تربطها بالخليفة « المعتصم بالله » رابطة سوى أخوة الإسلام ، تستنجد به لما عذبها صاحب عمورية ، وتطلقها صيحة يسجل التاريخ دويها الضخم : « وامعتصماه » ، وما إن بلغت المعتصمَ هذه الندبة – وكان يأخذ لنفسه شيئاً من الراحة – حتى قالها بملء جوارحه : « لبيكِ » ، وانطلق لتوه إلى القتال ، وانطلقت معه جحافل المسلمين ، وقد ملأت الغيرة لكرامة المرأة نفس كل جندى إباءً وحماساً ، فأنزلوا بالعدو شر هزيمة ، واقتحموا قلاعه فى أعماق بلاده حتى أتوا عمورية ، وهدموا قلاعها ، وانتهوا إلى تلك الأسيرة ، وفكوا عقالها ، وقال لها المعتصم : « اشهدى لى عند جَدِّك المصطفى ﷺ أنى جئت لخلاصك »)[2] .

- (وفى القرن السابع الهجرى حين ضرب التفرق أطنابه بين المسلمين حتى أضعفهم ، واحتل الصليبيون قسماً من بلادهم ، وطمعوا فى المزيد ، واستعانوا ببعضهم على بعض ، حتى أوشكوا أن يحتلوا مصر ، فكر حاكم مصر الفاطمى آنذاك المدعو « العاضد لدين الله » أن يستعين بوالى الشام « نور الدين زنكى » ، ولكنْ كيف وملك الشام لا يعترف بالخليفة الفاطمى فى مصر ، ولا يؤمن بشرعية خلافته ، وحكمه إنما يدين بالاعتراف للخلافة العباسية فى بغداد ، وبينها وبين الفاطميين أشد الخصام ؟

---

(١) « معجم البلدان » لياقوت الحموى (٣٨١/٨) .

(٢) « شبهات حول العصر العباسى » للدكتور مؤيد فاضل ملا رشيد ص (٨٣) ، ونضيف : أليس من حقنا أن نصم آذان حكامنا اليوم بقول الشاعر المعاصر :

رُبَّ « وامعتصماه » انطلقت ... ملء أفواه الصبايا اليتمِ
صادفت أسماعهم لكنها ... لم تصادف نخوة المعتصم
لا يُلام الذئبُ فى عدوانه ... إن يكُ الراعى عدوَّ الغنم

لقد وجد الحل بواسطة المرأة والغيرة على كرامتها ، وهكذا أرسل العاضد إلى نور الدين زنكى رسالة استنجاد أرفقها بأبلغ نداء : أرفقها بخصلة من شعور نساء بيت خلافته فى القاهرة ، وكان أن بلغ التأثير مداه فى قلب نور الدين ، فسرت حميا الغيرة والنخوة فى جند الشام وأهله ، فبذلوا – لإنقاذ مصر من الصليبيين – فلذات أكبادهم بقيادة أسد الدين شيركوه ، ويوسف بن أيوب « صلاح الدين الأيوبى » .

وهكذا صنعت المرأة بخَصْلة شعرها حدثاً غير مجرى التاريخ ، وقلب الأحداث رأساً على عقب ، إلى أن كان يوم حطين الذى غسل الأرض المقدسة من العار ، وأرغم جحافل الصليبيين على حمل عصا الرحيل والتسيار)[1] .

إن حياة الغيرة التى يحياها المجتمع المسلم ، والتى يسمو بها فوق النجوم رفعة ، ويرتقى بها إلى أعلى المنازل فضلاً وطهراً ، يقابلها فى المجتمعات الكافرة فى الشرق والغرب حياة الدياثة[2] والخباثة ، والقذارة والحقارة ، واللوثة والنجاسة ، والذلة والمهانة ، التى قد تترفع عنها بعض الحيوانات حيث تغار فحولها على إناثها ، ويقاتل الفحل دون أنثاه كل فحل يعرض لها حتى تصير إلى الغالب ، وتأمل معى القصة التالية :

عن عمرو بن ميمون الأودى رضى الله عنه قال :
(رأيت فى الجاهلية قِرْدة اجتمع عليها قِرَدةٌ قد زنت ، فرجموها ، فرجمتها معهم)[3] .

فاستقباح الزنا ، والغيرة على العرض فطر الله سبحانه عليه هذا الحيوان البهيم الذى لا عقل له !

---

(١) « ماذا عن المرأة ؟ » ص (٢٥ – ٢٦) ، وانظر : « البداية والنهاية » (٢٥٥/١٢) .
(٢) راجع « القسم الثانى » ص (٤٦ – ٤٧) .
(٣) رواه البخارى (١٢١/٧) فى فضائل أصحاب النبى ﷺ : باب أيام الجاهلية .

(والغيرة على الحريم رمز الإسلام الصحيح ، ومن فقدها من أبناء البلاد الإسلامية ، إنما فقدها بعد اندماجه فى أمم لا يغارون على نسائهم ، ولا يرون أى بأس فى مخاصرة زوجاتهم لرجال آخرين ، فى مرأى منهم ومشهد)[1] اهـ .

لقد وسع الشقاق الواسع بيننا وبين الأوربيين فى الغيرة ، يقول الدكتور نور الدين عتر حفظه الله :

(إن أوروبا لم تقدس العفة فى يوم من الأيام ، بل لم تحافظ على الطهر العذرى ، وحسبنا من المقياس الخلقى فى موقفهم من المرأة أن لا نجد فى لغتهم كلمة تعبر عن كرامة المحافظة والاستقامة فى السلوك « الغريزى » أعنى كلمة « العرض » هذه الكلمة الجامعة لمعانى الفضيلة « الغريزية » وحمية المؤمن فى الغيرة عليه والدفاع عنه)[2] اهـ .

إن الأوربيين يستهجنون هذه المعانى ، ولا يستسيغونها ، بل هم ينددون بهذه الفطرة الإنسانية العالية،ويحاربونها بمختلف الأساليب ، ويرمون من خلال قصصهم وأدبهم أن يهبطوا بالإنسان السامى إلى مستوى الحيوانية السافلة .

قال رفاعة الطهطاوى فى مجلة « روضة المدارس » التى كان يرأس تحريرها : (من محاسن الإسلام أن الله سبحانه وتعالى قد أودع فى قلب الرجل الغيرة على نسائه ، حتى جعل سبحانه وتعالى بدن الحرة عورة بالنسبة للآخرين ، فلا يحل لها كشفه عليه ، ولا يحل له نظرها أيضاً ، فلذلك كانت نساء الإسلام مصوناتٍ فى بيوتهن ، سيدات على غيرهن .. ومن العادة أيضاً العامة لسائر المسلمين ، أنه لا يليق أن يسأل الإنسان عن حال زوجته ، وإن كان هذا يُعَدُّ فى بلاد الإفرنج من اللطافة والظرافة ، لفقدهم الغيرة)[3] اهـ .

---

(١) « الفتن » للبيانونى ص (٢١٣- ٢١٤) .
(٢) « ماذا عن المرأة » للدكتور نور الدين عتر ص (٢٢ - ٢٣) .
(٣) نقله عنه الدكتور السيد أحمد فرج فى « المؤامرة على المرأة المسلمة » ص (٤١) .

عـود علـى بـــدء

إن الحجاب بمعناه الواسع يتناسب مع الغيرة المحمودة ، وإن التبرج والاختلاط والخلوة المحرمة ، وسائر أسباب الافتتان بالمرأة إنما تنتج عن عدم الغيرة وضعف الحمية .

ولو أن المرأة التزمت درجة الحجاب المثلى وقرَّت فى بيتها ، ولو أنها إذا احتاجت للخروج فخرجت ، حجبت كل بدنها عن الأجانب ، لما كان لهذه الفتن مكان فى حياتنا .

ولو أننا تأملنا الواقع من حولنا لأدركنا أن بداية الفتنة إنما هى النظرة المحرمة على حد قول القائل :

نظـــرة فابتسامـــة فســـلام فكـــلام فموعـــد فلقـــاء

فلو أسدل الحجاب على وجه المرأة أيضاً إذن لأخمدت الفتنة من أصلها ، ﴿ وكفى الله المؤمنين القتال ﴾[1] .

ولقد سبق أن بيَّنا أن من الغيرة المحمودة أنفةَ المحب ، وحميته أن يشاركه فى محبوبه غيره ، فإذا كان النظر المحرم إلى وجه المرأة وغيره هو « زنا العين » بنص حديث رسول الله ﷺ ، لم نحتج إلى إثبات أن هذا النظر نوع من المشاركة فيما ينبغى أن يستأثر به الزوج ، أو المحارم لأمن الفتنة من جانبهم ، ومن هنا يقول أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه :
(ألا تستحيون ؟ ألا تغارون ؟ يترك أحدكم امرأته بين الرجال تنظر إليهم ، وينظرون إليها)[2] .

وأخيراً قال العلامة القرآنى محمد الأمين الشنقيطى رحمه الله تعالى :

(وبالجملة ، فإن المنصف يعلم أنه يبعد كل البعد أن يأذن الشارع للنساء

---

(١) (الأحزاب : ٢٥) .

(٢) « الزواجر » للهيتمى (٤٦/٢) .

فى الكشف عن الوجه أمام الرجال الأجانب ، مع أن الوجه هو أصل الجمال ، والنظر إليه من الشابة الجميلة هو أعظم مثير للغرائز البشرية وداع إلى الفتنة ، والوقوع فيما لا ينبغى ، ألم تسمع بعضهم يقول :

قلت اسمحوا لى أن أفوز بنظرة
ودعوا القيامة بعد ذاك تقوم

أترضى أيها الإنسان أن تسمح له بهذه النظرة إلى نسائك وبناتك وأخواتك ، ولقد صدق مس قال :

وما عجب أن النساء ترجَّلت ولكن تأنيث الرجال عُجابُ)[1]

(١) « أضواء البيان » (٦٠٢/٦) .

مثالب التبرج

التبرج لغة :

هو إبداء المرأة زينتها ، وإظهار وجهها ، ومحاسن جيدها للرجال ، وكل ما تستدعى به شهوتهم حتى التكسر والتبختر فى مشيتها ، مالم يكن ذلك للزوج[1] .

التبرج شرعاً :

(هو إظهار الزينة ، وإبراز المرأة لمحاسنها ، وقيل : هو التبختر والتكسر فى المشية)[2] .

وقيل : (هو كل زينة أو تجمل تقصد المرأة بإظهاره أن تحلو فى أعين الأجانب،حتى القناع الذى تستتر به المرأة إن انتخب من الألوان البارقة ، والشكل الجذاب لكى تلذ به أعين الناظرين ، فهو من مظاهر تبرج الجاهلية أيضاً)[3] .

وفيما يلى نوضح مثالب التبرج وخطره على الدين والدنيا :

أولاً : التبرج معصية لله ورسوله ﷺ

ومن يعص الله ورسوله فإنه لا يضر إلا نفسه ، ولن يضر الله شيئاً ، قال رسول الله ﷺ : (كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى) فقالوا : يارسول الله من يأبى ؟ ، قال : (من أطاعنى دخل الجنة ، ومن عصانى فقد أبى) .[4]

(١) « لسان العرب » (٣٣/٣) ، و« القاموس المحيط » (١٨٧/١) ، «المعجم الوسيط » (٤٦/١) ، ويأتى - بإذن الله - زيادة بيان لمعنى التبرج ، فانظر ص (٢٥٦)، (٢٩٨).

(٢) « تفسير الطبرى » (٤/٢٢) .

(٣) « الحجاب » للمودودى رحمه الله ص (١٣٢) .

(٤) رواه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه البخارى (٢١٤/١٣) فى الاعتصام : باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ .

واعلم – رحمك الله – أن كل آية أو حديث اشتملت ، أو اشتمل على الزجر عن معصية الله عز وجل ، ومعصية رسوله ﷺ يصلح أن يستدل به هنا ، غير أننا – اختصاراً – نورد فيما يلى ما جاء فى النهى عن معصية التبرج بخصوصها ، فمن ذلك :

ماروراه أبو حريز مولى أمير المؤمنين معاوية رضى الله عنه قال :
(خطب الناسَ معاوية رضى الله عنه بحمص ، فذكر فى خطبته أن رسول الله ﷺ حَرَّمَ سبعة أشياء ، وإنى أبلغكم ذلك ، وأنهاكم عنه ، منهن النوح ، والشعر ، والتصاوير ، والتبرج ، وجلود السباع ، والذهب ، والحرير)(١) .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن نبى الله ﷺ (كان يكره عشر خصال) وذكر منها : (والتبرج بالزينة لغير مَحَلِّها)(٢) .

قال السيوطى رحمه الله : (والتبرج بالزينة : أى إظهارها للناس الأجانب ، وهو المذموم ، فأما للزوج فلا ، وهو معنى قوله « لغير محلها »)(٣) اهـ .

ثانيـاً : التبرج كبيـرة موبقـة

جاءت أُميمة بنت رُقيقة إلى رسول الله ﷺ تبايعه على الإسلام ، فقال : (أبايعكِ على أن لا تُشرِكى بالله ، ولا تسرقى ، ولا تزنى ، ولا تقتلى وَلَدَكِ ، ولا تأتى ببهتان تفترينه بين يديك ورجليك ، ولا تنوحى ، ولا تتبرجى تبرج الجاهلية الأولى)(٤) .

فتأمل كيف قرن رسول الله ﷺ التبرج الجاهلى بأكبر الكبائر المهلكة .

---

(١) رواه الإمام أحمد فى « مسنده » (٤/١٠١) .

(٢) رواه النسائى فى « سننه » (٨/١٤١) .

(٣) وكذا ذكره السندى فى حاشيته – انظر « سنن النسائى » (٨/١٤١ – ١٤٢) .

(٤) رواه الإمام أحمد فى « المسند » (٢/١٩٦) ، وقال العلامة أحمد شاكر رحمه الله : « إسناده صحيح » ، وذكر أن الحديث نقله الحافظ ابن كثير فى « تفسيره » (٨/٣٢٧ – ٣٢٨) عن المسند ، وقال : « هذا إسناد "صحيح"، ثم نسبه للترمذى والنسائى وابن ماجه » اهـ من « تحقيق المسند » (١١/٧٥) حديث رقم (٦٨٥٠) .

ثالثاً : التبرج يجلب اللعن والطرد من رحمة الله

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما :
قال رسول الله ﷺ : (سيكون فى آخر أمتى نساءٌ كاسيات عاريات ، على رؤوسهن كأسنمة البُخْت ، العنوهن فإنهن ملعونات)(1).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (سيكون فى آخر أمتى رجال يركبون على سروج كأشباه الرجال ، ينزلون على أبواب المساجد ، نساؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهن كأسنمة البخت العجاف ، العنوهن ، فإنهن ملعونات ، لو كانت وراءكم أمة من الأمم لخدمن نساؤكم نساءهم كما يَخْدِمْنكم نساءُ الأمم قبلكم)(2).

رابعاً : التبرج من صفات أهل النار

عن أبى هريرة رضى الله عنه : قال رسول الله ﷺ : (صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مميلات مائلات ، رؤوسهن كأسنمة البُخْت المائلة ، لا

---

(1) أخرجه الطبرانى فى « المعجم الصغير » ص (٢٣٢) ، وصححه الألبانى فى « الحجاب » ص (٥٦)، ونقل السيوطى عن ابن عبد البر قوله (أراد ﷺ النساء اللواتى يلبسن من الثياب الشيء الخفيف الذى يصف ، ولا يستر ، فهن كاسيات بالاسم ، عاريات فى الحقيقة) اهـ من « تنوير الحوالك » (٣/ ١٠٣)، وانظر: «نيل الأوطار» (٢/ ١٣١).

(2) رواه الإمام أحمد فى « مسنده » رقم (٧٠٨٣) ، وقال العلامة أحمد شاكر رحمه الله : (إسناده صحيح) (١٢/ ٣٦) ، والحاكم فى « المستدرك » (٤/ ٤٣٦) ، وقال : « صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه » ، وقال الهيثمى فى « المجمع » : (رواه أحمد والطبرانى فى الثلاثة ، ورجال أحمد رجال الصحيح) اهـ (٥/ ١٣٧) ، وقال المنذرى فى « الترغيب » (رواه ابن حبان فى صحيحه ، واللفظ له) اهـ (٣/ ١٠١).
وقوله (كأسنمة البخت) : هو جمع « سنام » وهو أعلى ظهر البعير ، و« البخت » : بضم الباء وسكون الخاء : جمال طوال الأعناق ، والعِجاف : جمع عجفاء ، وهى المهزولة ، وانظر : « الفتح الربانى » (١٣/ ٣٠٢) .

يدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا) .[1]

وعن عمارة بن خزيمة قال : (بينما نحن مع عمرو بن العاص رضى الله عنه فى حج أو عمرة ، فإذا نحن بامرأة عليها حبائر[2] لها ، وخواتيم ، وقد بسطت يدها على الهودج ، فقال : بينما نحن مع رسول الله ﷺ فى هذا الشِّعْبِ إذ قال : « انظروا : هل ترون شيئاً ؟ » ، فقلنا : « نرى غرباناً فيها غرابٌ أعصم[3] ؛ أحمرُ المنقارِ والرجلين » ، فقال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة من النساءِ إلا مَنْ كان منهن مثل هذا الغراب فى الغِرْبان »)[4] .

---

(١) رواه مسلم فى « صحيحه » رقم (٢١٢٨) فى الجنة : باب النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء .

قال النووى رحمه الله : (قيل : معنى كاسيات أى من نعمة الله عاريات من شكرها ، وقيل : معناه تستر بعض بدنها ، وتكشف بعضه إظهاراً لجمالها ونحوه ، وقيل : تلبس ثوباً رقيقاً يصف لون بدنها وهو المختار ، ومعنى مائلات:عن طاعة الله وما يلزمهن حفظه مميلات أى يُعَلِّمْنَ غيرهن فعلهن المذموم ، وقيل : يمشين متبخترات مميلات لأكتافهن ، وقيل : مائلات يمتشطن المشطة الميلاء وهى مشطة البغايا ، ومميلات : يمشطن غيرهن تلك المشطة ، ومعنى رؤوسهن كأسنمة البخت أى يكبرنها ، ويعظمنها بلف عمامة أو نحوها ، والله أعلم) اهـ من « المجموع شرح المهذب » (٣٠٧/٤) ، وانظر : « القسم الأول » ص (١٧١) .

(٢) حبائر : ثياب جديدة ، وثوب حبير أى جديد - انظر : « الصحاح » للجوهرى (٦٢٠/٢) .

(٣) الأعصم : هو الأبيض الجناحين ، وقيل الأبيض الرجلين ، وقيل : هو أحمر المنقار والرجلين ، انظر : « النهاية فى غريب الحديث والأثر » (٢٤٩/٣) ، وفى الحديث كناية عن قلة من يدخل الجنة من النساء ، لأن هذا الوصف فى الغربان قليل ، ونظير ذلك قوله ﷺ فى خطبة الكسوف : « رأيت النار ، ورأيت أكثر أهلها النساء » متفق عليه ، وفى الصحيحين أيضاً من حديث أسامة بن زيد رضى الله عنهما : « وقمت على باب النار ، فإذا عامة من دخلها النساء » ، وفى صحيح مسلم عن عمران بن حصين رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال : « إن أقل ساكنى الجنة النساء » ، وانظر : «التذكرة» للقرطبى (٣٦٩/١) ، « الجنة والنار » للأشقر ص (٨٣ - ٨٤) .

(٤) رواه الإمام أحمد (١٩٧/٤ ، ٢٠٥) ، والحاكم (٦٠٢/٤) ، وقال : « صحيح على شرط مسلم » ، ووافقه الذهبى ، وزاد الألبانى فى تخريجه : أبا يعلى ، وابن عساكر ، وابن قتيبة فى « إصلاح الغلط » ، وقال : (وهذا سند صحيح ، وقول الحاكم : « صحيح على شرط مسلم » خطأ ، وافقه الذهبى عليه ، فإن أبا جعفر اسمه عمير بن يزيد لم يخرج مسلم له =

خامســاً : التبرج سواد وظلمة يوم القيامة

قال الإمام الترمذى رحمه الله :

حدثنا على بن خَشْرم أخبرنا عيسى بن يونس ، عن موسى بن عبيدة ، عن أيوب بن خالدٍ ، عن ميمونة بنت سعد - وكانت خادماً للنبى ﷺ - قالت : قال رسول الله ﷺ :
« مَثَلُ الرافلة فى الزينة فى غيرِ أهلها ، كَمَثَلِ ظُلْمةٍ يوم القيامة ، لا نُورَ لها » [1] .

[قوله:« الرافلة » : قال فى « النهاية » : (الرافلة هى التى تُرْفُلُ فى ثوبها ، أى تتبختر ، والرفل : الذيل ، ورفل إزاره : إذا أسبله ، وتبختر فيه) اهـ .
وقوله:« فى الزينة » : أى فى ثياب الزينة ،
قوله:« فى غير أهلها » أى بين من يحرم نظره إليها ،
قوله : « كمثل ظلمة يوم القيامة » أى تكون يوم القيامة كأنها ظلمة ،
قوله : « لانور لها » الضمير للمرأة ، قال الديلمى : يريد المتبرجة بالزينة لغير زوجها] [2] اهـ .

وقال فى الفردوس : والرَّفْلُ التمايل فى المشى مع جَرِّ ذيل ، يريد أنها تأتى يوم القيامة سوداء مظلمة كأنها متجسدة من ظلمة)[3] اهـ .

قال القاضى أبو بكر بن العربي رحمه الله تعالى : (ذكره الترمذى ،

= شيئاً) اهـ. من «الصحيحة» رقم (١٨٥٠) (٤٦٦/٤)، وقال التويجري حفظه الله: (والظاهر أن عمرو بن العاص رضى الله عنه إنما حَدَّث به قصد الإنكار على المرأة المبدية لزينتها بين الرجال الأجانب) اهـ من « الصارم المشهور » ص (١٤) .

(١) رواه فى « سننه » رقم (١١٦٧) ، كتاب الرضاع : باب ما جاء فى كراهية خروج النساء فى الزينة ، وقال : (هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عبيدة ، وموسى بن عُبيدة يضعَّف فى الحديث من قبل حفظه ، وهو صدوق ، وقد رواه بعضهم عن موسى بن عبيدة ، ولم يرفعه) اهـ (٤٧٠/٣) ، وضعَّفه الألبانى فى « الضعيفة » رقم (١٨٠٠) .

(٢) « تحفة الأحوذى » (٣٢٩/٤) .

(٣) نقله المناوى فى « الفيض » (٥٠٧/٥) .

وَضَعَّفه ، ولكن المعنى صحيح ؛ فإن اللذة فى المعصية عذاب ، والراحة نصب ، والشِّبَعَ جوع ، والبركة مَحَق ، والنور ظلمة ، والطيب نتن ، وعكسه الطاعات : فخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، ودم الشهيد اللون لون دم ، والعَرْفُ عَرْفُ مِسْك »[1] اهـ .

سادساً : التبرج نفاق

فعن أبى أذينة الصدفى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (خير نسائكم الوَدُودُ الوَلودُ ، المواتية ، المواسية ؛ إذا اتَّقَيْنَ الله ، وَشَرُّ نسائكم المُتَبَرِّجاتُ المُتَخَيِّلاتُ ، وهن المنافقات ، لا يدخل الجنة منهن إلا مِثْلُ الغرابِ الأعصم)[2] .

سابعاً : التبرج فاحشة

فإن المرأة عورة ، وكشف العورة فاحشة ومقت ، قال تعالى : ﴿ وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون ﴾[3] .

والشيطان هو الذى يأمر بهذه الفاحشة : ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ﴾[4] .

والمتبرجة جرثومة خبيثة ضارة تنشر الفاحشة فى المجتمع الإسلامى ، قال تعالى : ﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى

---

(١) « عارضة الأحوذى » (١١٣/٥ - ١١٤) .

(٢) أخرجه البيهقى فى « السنن » (٨٢/٧) ، ورواه عن ابن مسعود رضى الله عنه أبو نعيم فى « الحلية » (٣٧٦/٨) ، وانظر « السلسلة الصحيحة » رقم (١٨٤٩) ، (٦٣٢) .

(٣) (الأعراف : ٢٨) .

(٤) (البقرة : ٢٦٨) .

الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾[1] .

وعن أبي موسى الأشعرى رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ : (أيما امرأة استعطرت ، ثم خرجت على قوم ليجدوا ريحها فهى زانية ، وكل عين زانية)[2] .

ثامناً : التبرج تهتك وفضيحة

عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : (أيما امرأة وضعت ثيابها فى غير بيت زوجها ، فقد هتكت سِتر ما بينها وبين الله عز وجل)[3] .

ومثل ذلك ما ثبت عن فضالة بن عبيد رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ : (ثلاثة لا تسأل عنهم : رجل فارق الجماعة ، وعصى إمامه ، فمات عاصياً ، وأَمَةٌ أو عبد أَبَق من سيده فمات ، وامرأة غاب عنها زوجها ، وقد كفاها مؤنة الدنيا ، فتبرجت بعده ، فلا تسأل عنهم)[4] .

---

(١) (النور : ١٩) .

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) رواه الإمام أحمد (١٩٩/٦ ، ٢٦٧) ، والحاكم فى « المستدرك » (٢٨٨/٤) ، وصححه الحاكم على شرطهما ، ووافقه الذهبى ، وابن ماجه (٤٠٩/٢) رقم (٣٨١٢) .
قال المناوى رحمه الله : (قوله ﷺ : « وضعت ثيابها فى غير بيت زوجها » كناية عن تكشفها للأجانب ، وعدم تسترها منهم « فقد هتكت ستر ما بينها وبين الله عز وجل » لأنه تعالى أنزل لباساً ليوازين به سوءاتهن ، وهو لباس التقوى ، وإذا لم يتقين الله ، وكشفن سوءاتهن هتكن الستر بينهن وبين الله تعالى ، وكما هتكت نفسها ، ولم تصن وجهها ، وخانت زوجها ، يهتك الله سترها ، والجزاء من جنس العمل ، والهتك : خرق الستر عما وراءه ، والهتيكة : الفضيحة) اهـ .

(٤) أخرجه البخارى فى « الأدب المفرد » (٥٩٠) ، وابن حبان (٥٠) ، والحاكم (١١٩/١) ، =

تاسعاً : التبرج سنة إبليسية

المعركة مع الشيطان معركة جدية ، وأصيلة ، ومستمرة ، وضارية ، لأنه عدوٌّ عنيد يصر على ملاحقة الإنسان فى كل حال ، وعلى إتيانه من كل صوب وجهة ، كما وصفه الله تعالى فى قوله : ﴿ قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾[1] ، ولا عاصم لبنى آدم من الشيطان إلا التقوى والإيمان والذكر ، والاستعلاء على الشهوات ، وإخضاع الهوى لهدى الله تبارك وتعالى .

ومن استعراض ما حدث لآدم عليه السلام مع عدوه إبليس نرى أن الحياء من التعرى وانكشاف السوءة شيء مركوز فى طبع الإنسان وفطرته إذ يقول الله سبحانه : ﴿ فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ماوُورى عنهما من سوءاتهما ﴾[2] . وقال عز وجل : ﴿ فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ﴾[3] .

وقال عز من قائل : ﴿ فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ﴾[4] .

لقد نسى آدم ، وأخطأ ، وتاب ، واستغفر ، فقبل الله توبته ، وغفر له ، وانتهى أمر تلك الخطيئة الأولى ، ولم يبق منها إلا رصيد التجربة الذى يعين ابن آدم فى صراعه الطويل المدى مع الشيطان الذى يأتيه من مواطن الضعف فيه ،

= والإمام أحمد (٦/١٩) ، وابن أبى عاصم فى « السنة » رقم (٨٩) ، وصححه الحاكم على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبى ، وفيه أن هذه المرأة الخائنة احتاجت إلى غياب زوجها حتى تتبرج، فما عسانا نقول فى نساء اليوم اللائى لا يحتجن إلى ذلك ، بل يرتكبن أقبح أنواع التبرج وأفحشها على مرأى ومسمع ، بل وإقرار ورضا من أزواجهن ؟!

(١) (الأعراف : ١٦ - ١٧) .

(٢) (الأعراف : ٢٠) .

(٣) (الأعراف : ٢٢) .

(٤) (طه : ١٢١) .

فيغويه ، ويمنيه ، ويوسوس له حتى يستجيب فيقع فى المحظور .

إن قصة آدم وحواء مع إبليس تكشف لنا مدى حرص عدو الله على كشف السوءات ، وهتك الأستار ، وإشاعة الفاحشة ، وأن هذا هدف مقصود له . ومن ثم حذرنا الله عز وجل من هذه الفتنة خاصة ، فقال جل وعلا : ﴿ يابنى ءادم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون ﴾[1] .

ومن هنا فإن إبليس هو رائد الدعوة إلى كشف العورات ، وهو مؤسس الدعوة إلى التبرج بدرجاته المتفاوتة ، بل هو الزعيم الأول لشياطين الإنس والجن الداعين إلى « تحرير » المرأة من قيد الستر والصيانة والعفاف .

ومن ثم قال الله تبارك وتعالى :
﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوًّا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾[2] .

عاشراً : التبــرج من سَنَن اليهــود والنصارى

﴿ وَيَسْعَوْنَ فى الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين ﴾[3] .

لقد اتفق مخططو الدولة الصُّهْيُونيَّة العالمية التى تريد أن تسيطر على العالم فى « بروتوكولات حكماء صهيون » على أن من السبل التى يجب اتباعها لإخضاع من يسمونهم « الجوييم » أو « الأميين » حربَ الأخلاق ، وتقويض نظام الأسرة بشتى الوسائل الممكنة ، ووجدوا أن الأسباب المدمرة للأسرة تتركز فى كل ألوان الإغراء بالفواحش ، وإثارة الشهوات ، وهكذا غَدَوْا يصنعون : عن طريق الأفلام الماجنة التى توزعها فى العالم « دور صهيونية» ، وعن طريق الأزياء الخليعة التى تنشرها دور الأزياء الصهيونية ،

---

(١) (الأعراف : ٢٧) .
(٢) (فاطر : ٦) .
(٣) (المائدة : ٦٤) .

وكذا المجلات والقصص ونحوها .
ولليهود باعٌ كبير فى هذا المجال ، عُرِفوا به فى كل عصر ومصر [1] .

وهاهو ذا ناصحنا الأمين رسول الله ﷺ يحذرنا أولًا من فتنة النساء ، فى حديث أسامة رضى الله عنه قال ﷺ : (ماتركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء) [2] ، ثم هاهو يخص فتنة النساء بالتحذير ، ويبين لنا أنها كانت أول ما فتن به بنو إسرائيل .

وذلك فى حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ : (إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله عز وجل مستخلفكم فيها ، فينظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ، فإن أولَ فتنةِ بنى إسرائيل كانت فى النساء) [3] .

وقد شرع الله لهن الستر ، وأمَرَهُنَّ بالصيانة ، فقلن « سمعنا وعصينا » ، كما كانت عادة الأمة المغضوب عليها .

ويشرح لنا رسول الله ﷺ جانبًا من فتنة نساء بنى إسرائيل وإلحاحهن على التحيل لبث هذه الفتنة فما رواه عنه أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ : (كانت امرأة من بنى إسرائيل قصيرة تمشى مع امرأتين طويلتين ، فاتخذت رجلين من خشب [4] ، وخاتمًا من ذهب ، مُغَلَّفاً بطينٍ ، ثم حَشَتْه مِسْكاً ، وهو أطيب الطيب ، فمرت بين المرأتين ، فلم يعرفوها ، فقالت بيدها هكذا) [5] .

وَيُرْوَى عن عائشة رضى الله عنها قالت : بينا رسول الله ﷺ جالس فى المسجد ، إذ دخلت امرأة مُزَيَّنة ، ترفل [6] فى زينة لها فى المسجد ، فقال النبى ﷺ : (ياأيها الناس انهوا نساءكم عن لبس الزينة ، والتبختر فى المسجد ،

---

(١) انظر : « القسم الثانى » ص (٢٩) .
(٢) تقدم تخريجه .
(٣) تقدم تخريجه .
(٤) وذلك لتبدو طويلة ، تمامًا كما يفعل بعض النساء اليوم من لبس ما يسمى بـ « الكعب العالى » وللغرض نفسه .
(٥) تقدم تخريجه .
(٦) ترفل : من رفل فى ثيابه ، إذا أطالها وجرها متبختراً .

فإن بنى إسرائيل لم يلعنوا حتى لبست نساؤهم الزينة، وتبخترن فى المساجد)[1] .

وقد حكت كتبهم أن الله سبحانه وتعالى عاقب بنات صهيون على تبرجهن ، ففى الأصحاح الثالث من سِفْر أشِعْيا : (إن الله سيعاقب بنات صهيون على تبرجهن والمباهات برنين خلاخيلهن بأن ينزع عنهن زينة الخلاخيل والضفائر والأهِلَّةِ والحِلَقِ والأساور والبراقع والعصائب) .

وفى سفر أشعيا : (وقضى الله على بنات صهيون إذ يتشامخن ويمشين ممدودات الأعناق ، غامزات لعيونهن ، وخاطرات فى سيرهن ، يخشخشن بأرجلهن أن يعرى عورتهن ، وينزع فى ذلك اليوم زينة الخلاخيل ، والأساور ، والبراقع) .

وقد كان نساء العجم من اليهود أو النصارى الذين يعيشون مع المسلمين يحرصن على هذا التبرج ، قال سعيد بن أبى الحسن للحسن البصرى أخيه : إن نساء العجم يكشفن صدورهن ورءوسهن ، قال : اصرف بصرك عنهن ﴿ وقل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ﴾[2] الآية .

ضعفُ الأمةِ مَرَضٌ ، التبرجُ أحد أعراضِه

وقد ظلت فتنة التبرج تطل برأسها حيناً بعد حين خلال أحقاب التاريخ الإسلامى ، ولكنها ما كانت تستشرى إلا فى حالة ضعف الأمة وانهزامها ، مثال ذلك : الغزو العسكرى الكافر وأقرب مثال أمامنا الحملة الفرنسية[3] ، ومثال آخر : الغزو الفكرى من الداخل على يد أعداء الأمة المسلمة من أمثال

(١) رواه ابن ماجه فى « الفتن » : باب فتنة النساء ، وقال البوصيرى فى « الزوائد » : « هذا إسناد ضعيف ، داود بن مدرك لا يُعرف ، وموسى بن عبيدة ضعيف » اهـ (٣/ ٢٤١) .

(٢) « فتح االبارى » (٧/١١) .

(٣) راجع « القسم الأول » الطبعة الرابعة ص (٨٩) .

« أتاتورك » ، و« عبد الناصر » ، و« السادات » ، وسائر الطواغيت من الساسة والمفكرين[1] .

ولا يزال أهل الكتاب خاصة اليهود يحرضون المرأة على التهتك والتبرج ، فيهود الدونمة أول من حاول نزع الحجاب فى الولايات الإسلامية غير العربية ، (من ذلك ما حدث فى مدينة « سالونيك » مقر تجمعهم فى عام ١٩١٤ م من تنظيمهم لحفل ليلى ، وقد استدعوا بعض النساء اليهوديات يحملن أسماءً إسلامية ليقمن بتمزيق الحجاب على خشبة المسرح أمام الناس ، ولكن الحكومة منعت هذا الحفل لئلا تثير عواطف المسلمين)[2] .

وقد وقفت الأصابع الصليبية والصَّهْيَوْنِيَّة تحرك عملاءها من وراء ستار ، وأحياناً عياناً بياناً :

- فهذان القسيسان اللاهوتيان « دنلوب » و« كرومر » يناهضان الإسلام مناهضة متواصلة تحت ستار الاحتلال الإنكليزى لمصر .
- وهذا « مرقص فهمى » القبطى يدعو صراحة إلى القضاء على الحجاب الإسلامى .
- وهذا « الدوق داركير » يهاجم الحجاب .
- وهذه الأميرة « نازلى » ترعى دعوة السفور ، وتنهى فصول المؤامرة بتنصرها وارتدادها عن الإسلام عياذاً بالله .
- وهذا « جرجى نقولا باز » يؤلف كتابين تأييداً لدعوة السفور التى تبناها « قاسم أمين » .
- وهذا « لويس عوض » يحرض على التبرج والتحرر من قيود الدين الإسلامى ، إلى آخر تلك القائمة السوداء القائمة فى كل عصر ومصر : ﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴾[3] .

---

(١) وقد أشبعنا الكلام فى تاريخ هذه المؤامرات بالقسم الأول : « معركة الحجاب والسفور » .
(٢) « التبرج والاحتساب عليه » لعبيد بن عبد العزيز ص (٤٤) .
(٣) (التوبة : ٣٢) .

ومع تحذير الرسول ﷺ من التشبه بالكفار ، وسلوك سبلهم خاصة فى مجال المرأة إلا أن أغلب المسلمين خالفوا هذا التحذير ، وتحققت نبوءة رسول الله ﷺ :

(لتتبعن سَنَن مَن كان قبلكم شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لتبعتموهم ، قيل : اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟) [1] .

فما أشبه هؤلاء اللاتى أطعن اليهود والنصارى ، وَعَصَيْنَ الله ورسوله بهؤلاء اليهود المغضوب عليهم الذين قابلوا أمر الله بقولهم : (سمعنا وعصينا) ، وما أبعدهن عن سبيل المؤمنات اللاتى قلن حين سمعن أمر الله : (سمعنا وأطعنا) ، قال تعالى : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نُوَلِّه ما تولى ونُصْلِهِ جهنم وساءت مصيراً ﴾ [2] .

حادى عشر :

التبرج جاهلية منتنة

قال تعالى : ﴿ وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ﴾ [3] .

وقد وصف النبى ﷺ دعوى الجاهلية بأنها منتنة أى خبيثة ، وأمرنا بنبذها ، وقد جاء فى صفته ﷺ أنه ﴿ يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ﴾ [4] .

وقد تبرأ رسول الله ﷺ من كل من يدعو بدعوى الجاهلية ، فقال ﷺ : (ليس مِنَّا من ضرب الخدود ، وشق الجيوبَ ، ودعا بدعوى الجاهلية) [5] .

---

(١) تقدم تخريجه فى « القسم الأول » ط . الثالثة ص (١٤) .

(٢) (النساء : ١١٥) .

(٣) (الأحزاب : ٣٣) .

(٤) (الأعراف : ١٥٧) .

(٥) رواه من حديث ابن مسعود رضى الله عنه البخارى (٣/١٣٣) فى الجنائز باب ليس منا من ضرب الخدود ، ومسلم رقم (١٠٣) فى الإيمان : باب تحريم ضرب الخدود ، والترمذى رقم =

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال ﷺ : (أبغض الناس إلى الله ثلاثة : ملحد فى الحرم ، ومبتغٍ فى الإسلام سنة الجاهلية ، ومُطَّلِبُ دمِ امرىء بغير حق ليهريق دمه)[1] .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : (وسنة الجاهلية اسم جنس يعم جميع ما كان أهل الجاهلية يعتمدونه)اهـ .

ودعوى الجاهلية شقيقة تبرج الجاهلية ، كلاهما منتن خبيث ، أبغضه الله تعالى ، وحرَّمه علينا رسول الله ﷺ ، وقد قال ﷺ فى الأولى : (مابال دعوى الجاهلية ؟ دَعوها فإنها منتنة)[2]، فوجب أن نقول فى الأخرى : (دعوها فإنها منتنة) ، بل ضعوها حيث وضعها رسول الله ﷺ لمَّا قال :

(ألَا إنَّ كُلَّ شَيْءٍ من أمرِ الجاهلية تحت قَدَمىَّ موضوع)[3] ، فلا يجوز لأى مسلمة بحال أن ترفع ما وضعه رسول الله ﷺ ، أو تُعَظِّمَ ما حَقَره من أمر الجاهلية سواء فى ذلك : ربا الجاهلية أو تبرج الجاهلية ، أو دعوى الجاهلية ، أو حكم الجاهلية ، أو ظن الجاهلية ، أو حمية الجاهلية ، أو سنة الجاهلية .

= (٩٩٩) فى الجنائز : باب ماجاء فى النهى عن ضرب الخدود ، والنسائى (٢٠/٤) فى الجنائز : باب ضرب الخدود .

(١) رواه البخارى فى « الديات » : باب من طلب دم امرىء بغير حق ، (٢١٠/١٢) ط . السلفية – حديث رقم (٦٨٨٢) .

(٢) قطعة من حديث رواه عن جابر رضى الله عنه البخارى (٣٩٨/٦) فى الأنبياء : باب فى دعوى الجاهلية ، وفى تفسير سورة المنافقون (٤٩٩/٨) ، ومسلم رقم (٢٥٨٤) فى البر والصلة : باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً ، والترمذى رقم (٢٣١٢) فى تفسير سورة المنافقون .

(٣) رواه أبو داود في «المناسك»: باب صفة حجة النبي ﷺ رقم (١٩٠٥)، والترمذي في التفسير، وابن ماجه في «المناسك»، والدارمي في «المناسك»، والإمام أحمد (١٠٣/٢)، (٧٣/٥).

ثانى عشر :

التبـــرج

انتكاس، وتخلف، وانحطاط

من استعراض ما حدث لآدم عليه السلام مع عدوه إبليس نرى أن الحياء من التعرى وانكشاف السوءة شيء مركوز فى طبع الإنسان وفطرته ، إذ يقول الله سبحانه : ﴿ فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ماوورى عنهما من سوءاتهما ﴾ (١) .

ويقول عز وجل : ﴿ فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ﴾ (٢) .

ويقول سبحانه : ﴿ يابنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سو ءاتهما ﴾ (٣) .

وكل هذه الآيات توحى بأهمية هذه المسألة وعمقها فى الفطرة البشرية ، فاللباس ، وستر العورة : زينة للإنسان ، وستر لعوراته الجسدية ، كما أن التقوى لباس وستر لعوراته النفسية .

والفطرة السليمة تنفر من انكشاف سوءاتهما الجسدية والنفسية ، وتحرص على سترها ومواراتها ، والذين يحاولون تعرية الجسم من اللباس ، وتعرية النفس من التقوى ومن الحياء من الله ، ثم من الناس .

والذين يطلقون ألسنتهم ، وأقلامهم ، وأجهزة التوجيه والإعلام كلها لتأصيل هذه المحاولة - فى شتى الصور والأساليب الخبيثة - هم الذين يريدون سلب الانسان خصائص فطرته ، وخصائص إنسانيته ، التى بها صار إنساناً

---

(١) (الأعراف : ٢٠) .

(٢) (الأعراف : ٢٢) .

(٣) (الأعراف : ٢٧) .

متميزاً عن الحيوان[1] .

قال تبارك وتعالى : ﴿ ولقد كرمنا بنى ءادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثيرٍ ممن خلقنا تفضيلًا ﴾[2] .

إن العرى فطرة حيوانية ، ولم تزل الحيوانات فى انكشاف منذ خلقت ، لم يتغير حالها يوماً، بعكس الإنسان الذى يصح أن نَصِفَهُ بأنه (حيوان مستور) . وهذه الفطرة الحيوانية لا يميل الإنسان إليها إلا وهو يرتكس إلى مرتبة أدنى من مرتبة الإنسان .

إن رؤية العُرْى والتكشف جمالاً هو انتكاس فى الذوق البشرى قطعاً ، ومؤشر واضح يبين انتشار التخلف فى المجتمع البشرى .

وحتى هؤلاء الذين يتشدقون بالتقدم المزعوم ، يقولون :

إن الإنسان بدأ حياته على طريقة الحيوان عاريًا من كل ستر إلا شعره ، ثم رأى أن يستر جسمه بأوراق الشجر ، ثم بجلود الحيوانات ، ثم جعل يترقى فى مدارج الحضارة حتى اكتشف الإبرة ، وابتدع وسيلة الحياكة ، فاستكمل ستر جسمه .

وهكذا كانت نزعة التستر وليدة التقدم المدنى ، فكل زيادة فى هذا التقدم كانت مؤدية إلى زيادة فى توكيد الحشمة ، وكل خلل فى كمال الستر عنوان التخلف والرجعية .

وآية ذلك أن المتخلفين فى أواسط أفريقيا عراة ، وحين تشرق حضارة الإسلام فى هذه المناطق ، يكون أول مظاهر هذه الحضارة اكتساء العراة ، وانتشالهم من وهدة التخلف ، والتسامى بهم إلى مستوى « الحضارة » بمفهومها الإسلامى الذى يستهدف استنقاذ خصائص الإنسان وإبرازها .

قال الشيخ « مصطفى صبرى » رحمه الله : (لا خلاف فى أن السفور

---

(١) « اللباس والزينة فى الشريعة الإسلامية » ص (١٦ - ١٧) .

(٢) (الإسراء : ٧٠) .

حالة بداوة وبداية فى الإنسان ، والاحتجاب طرأ عليه بعد تكامله بوازع دينى أو خلقى يَزَعُهُ عن الفوضى فى المناسبات الجنسية الطبيعية ، ويسد ذرائعها ، ويكون حاجزاً بين الذكور والإناث .

... ثم إن الاحتجاب كما يكون تقييداً للفوضى فى المناسبات الجنسية الطبيعية ، ويضاد الطبيعة من هذه الحيثية ، فهو يتناسب مع الغيرة التى جُبل عليها الإنسان ، ويوافق الطبيعة من ناحيته الأخرى ، إلا أن الغيرة غريزة تستمد قوتها من الروح ، والتحرر عن القيود فى المناسبة الجنسية غريزة تستمد قوتها من الشهوة الجسمانية ، فهذه تغرى بالسفور ، وتلك تبعث على الاحتجاب ، وبين هاتين الغريزتين تجافٍ ، وتحاربٌ يجريان فى داخل الإنسان) [1] اهـ .

ثالث عشر :

التبــرج بــاب شــر مستطيــر

وذلك لأن من يتأمل نصوص الشرع ، وعِبَر التاريخ يتيقن مفاسد التبرج وأضراره على الدين والدنيا ، لا سيما إذا انضم إليه الاختلاط المستهتر .

فمن هذه العواقب الوخيمة :

تسابق المتبرجات فى مجال الزينة المحرمة لأجل لفت الأنظار إليهن ، مما يجعل المرأة كالسلعة المهينة الحقيرة المعروضة لكل من شاء أن ينظر إليها .

ومنها : الإعراض عن الزواج ، وشيوع الفواحش ، وسيطرة الشهوات .

ومنها : انعدام الغيرة ، واضمحلال الحياء .

ومنها : كثرة الجرائم .

ومنها : فساد أخلاق الرجال خاصة الشباب ، خاصة المراهقين ، ودفعهم إلى الفواحش المحرمة بأنواعها .

---

(١) « قولى فى المرأة » للشيخ مصطفى صبرى رحمه الله ص (٢٤ - ٢٥) .

ومنها : تحطيم الروابط الأسرية ، وانعدام الثقة بين أفرادها ، وتفشى الطلاق .

ومنها : المتاجرة بالمرأة كوسيلة دعاية أو ترفيه فى مجالات التجارة وغيرها .

ومنها : الإساءة إلى المرأة نفسها ، والإعلان عن سوء نيتها ، وخبث طويتها ، مما يعرضها لأذية الأشرار والسفهاء .

ومنها : انتشار الأمراض : قال ﷺ : (لم تظهر الفاحشة فى قوم قط ؛ حتى يعلنوا بها ؛ إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التىلمتكن مضت فى أسلافهم الذين مَضَوْا)[1] .

ومنها : تسهيل معصية الزنا بالعين ، قال ﷺ : (العينان زناهما النظر)[2] ، وتعسير طاعة غض البصر التى أُمِرنا بها إرضاء لله سبحانه .

ومنها : استحقاق نزول العقوبات العامة التى هى قطعاً أخطر عاقبة من القنابل الذرية ، والهزات الأرضية ، قال تعالى ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً ﴾[3] ، وقال ﷺ : (إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعذاب)[4] .

---

(١) جزء من حديث طويل رواه عن ابن عمر رضى الله عنهما ابن ماجه (٤٠١٩) ، وأبو نعيم فى « الحلية » (٨/٣٣٣ - ٣٣٤) ، والحاكم (٤/٥٤٠) ، وقال صحيح الإسناد » ، ووافقه الذهبى .

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) (الإسراء : ١٦) .

(٤) رواه أبو داود فى « الملاحم » ، والترمذى فى « الفتن » ، وابن ماجه فيه أيضاً ، والإمام أحمد (١/٥ ، ٧) .